الجـــمهورية الجزائرية الديمقـــراطية الشـــــعبية

وزارة التعليم العـــالي والبحث العـــلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قـــسم اللغة والأدب العربي

جماليات المكان في ديوان:

" وحي الضمير في واحة زقـــرير" لمحمّد صالح ناصر

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالبتين:

- سي عبد الله حليمة السعدية
- شبحة نور الهدى

إشراف الأستاذ:

- جهلان محمد

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الجامعة	الصفة
د. خديجة شامخة	جامعة غرداية	رئيسا
أ. محمد جهلان	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
أ. محمد زاوي	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: (1440هـ- 1441هـ/ 2019 م-2020م)

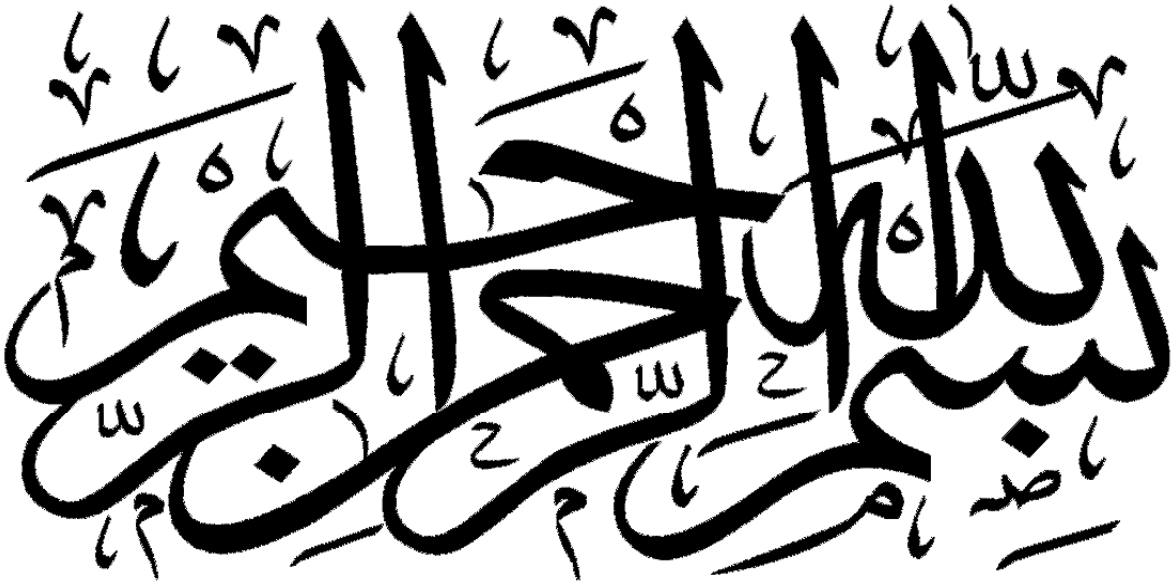
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله عزّ وجلّ ونشكره على المقدرة والصبر اللذيْن منَّ بهما علينا لإنجاز هذا العمل وإتمامه.

وفاءً منّا وتقديرا واعترافا بالجميل نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف: **جهلان محمد**، تقبل منّا جزيل الشكر وفائق التقدير، على ما أكرمتنا به من نصح وتوجيه ومساعدة، وتقبل منّا أسمى معاني العرفان لك بجميل تفهمك لنا، وإن كانت الكلمات عاجزة عن تقدير ما قدّمته لنا من مساعدة، فأنت نعم القدوة الحسنة علما وخلقا ونعم الأستاذ، فإنّا نسأل الله الكريم أن يجازيك عنّا خير الجزاء وأجزله.

ولا يفوتنا أيضا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة التي تشرف على تقويم هذا البحث، وإثراء مضمونه، دمتم نعمة وذخرا للعلم والمعرفة.

الملخّص

الملخص

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة المكان عند الشاعر محمد صالح ناصر من حيث الجمالية، باحثا في الثنائيات الضدّية، ومفتّشا عن أنواع الأمكنة؛ المغلقة والمفتوحة، المرتفعة والمنخفضة، الحضر والبادية، وليبرز دلالاتها في قصائد الشاعر، لينتهي إلى التوظيف المكاني بين الأبعاد والدلالات مبرزا ذلك باستخدام المنهج البنيوي. وانطلقنا من الاشكالية الرئيسة والتي مفادها إلى أي مدى تجسدت جماليات المكان عند الشاعر محمد صالح ناصر في ديوان وحي الضمير في واحة زقرير؟

وقد استخلص البحث مجموعة من النتائج من أبرزها: أهمية المكان في شعر محمد صالح ناصر تكمن في إبراز جمالياته.

Summary :

This Study aims to study the place in Mohammed Saleh Nacer poetry in terms of the aesthetic, search in the Binary oppositions, and determine their types, (Closed places and Open places the High places and Low places arban and the countryside). And for to highlight its significance in the poet's poems , and end up to spatial recruitment between dimensions and semantics by using the structural approach . And we started from the main problematic: To what extent were the aesthetics of the place embodied for the poet Muhammad Saleh Nasser in the Divan of the Conscience District in the Zegrir Oasis?

The study concludes a set of results from the most prominent of them the importance of place in the poetry of Muhammad Saleh Nasser is through highlighting its aesthetics.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب، وعلى آله وصحبه ذوي المناصب والرتب، أما بعد،

إن ما يميز النص الأدبي عن غيره من النصوص الأدبية الأخرى جانبه الفني والجمالي، فالشاعر يسعى إلى إبراز هذه الجمالية التي تتمايز من شاعر إلى آخر في النص عبر الزمان والمكان، ويكمن ذلك من خلال لغة النص التي تبين القدرة الإبداعية، فالمكان يعتبر أحد العناصر التي تشكل النص الأدبي، حيث استقطب الاهتمام بالمكان أغلبية النّقاد في العصر الحديث وظهر ذلك من خلال توظيفهم له في أعمالهم الأدبية، حيث جسّدوا العديد من الأمكنة فمنها الواقعية ومنها المتخيّلة، فجاءت حسب ميولاتهم النفسية والعاطفية، صادرة من لب مجتمعاتهم وواقعهم فتناولوا فيها مواضيع عدّة منها: السياسية، الاجتماعية، الدينية، النفسية، وبدلالات مختلفة لها علاقة بواقعهم المكاني.

ونظرا لأهمية المكان فقد حظي باهتمام الدّارسين والشعراء لتحقيق وفرض أسلوبه، رغم مشكلة ضبط المصطلح، إلا أنه احتلّ المكانة التي يستحقها باعتباره جزء لا يتجزأ من حياتنا، فولّدت علاقة تلازمية تبرز الصراع القائم بين مخيّلة الكاتب وحضوره واستثماره في النص الأدبي ومدى تأثر المتلقي به، وهذا الحضور المكاني لا يقتصر في الدراسات على المدونات المشهورة فحسب، فإن النتاج الأدبي المحلي يبقى في حاجة إلى دراسة عميقة تعالج قضاياه ومضامينه وأساليب عمله أيضا، للانتقال به إلى مرحلة الإبراز، خاصة في الإطار الأكاديمي الذي يركز على المناهج الجديدة والفاعلة بدقة وجدية أكثر.

لذا ارتأينا اختيار مدونة محلية والمتمثلة في ديوان الشاعر **محمد صالح ناصر** " **وحي الضمير في واحة زقرير** " وقد اقتصرت الدراسة على عيّنة مختارة من شّعر عمودي، المقسم إلى قصائد وأناشيد بين اللغة العربية الفصحى، واللهجة الميزابية واللهجة العربية العامية، وكان هذا الاختيار لتوفر وتنوع الأمكنة في الديوان، و كانت لنا دوافع موضوعية لاختيار هذا المجال من الدراسة.

الدوافع الموضوعية:

- محاولة معرفة الأمكنة في هيكلة القصيدة الشعرية عند محمد صالح ناصر من خلال الكشف عن أنواعها ومدلولاتها.
- محاولة الكشف عن خصوصية المكان في القصيدة عند الشاعر.

الدوافع الذاتية:

- الميل إلى العطاءات الشعرية المحلية المعاصرة.
- الرغبة في اكتشاف شاعرية الشاعر محمد صالح ناصر.

وتمثلت **حدود الدراسة** في:

1–التركيز على موضوع المكان وقضاياه وأبعاده الجماليّة تحديدا من بين قضايا الشعر محمد صالح ناصر

2–التركيز على قصائد ديوان وحي الضمير في واحة زقرير مدونةً منتقاة للدراسة تحديدا من بين باقي شعر محمد صالح ناصر.

ومن أجل دراسة هذا الموضوع انطلقنا من الإشكالية الرئيسة التالية:

إلى أي مدى تجسدت جمالية المكان لدى الشاعر محمد صالح ناصر في ديوان وحي الضمير في واحة زقرير؟

ونهدف من خلال هذا العمل إلى إبراز قيمة العمل الفنّي من خلال جمالية المكان، معتمدين المنهج الوصفي التحليلي.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تدرس جمالية المكان بالمزاوجة مع رمزيته ودلالاته العميقة، كما أنها ترسم الخطوط الخفية لحركية الكتابة الشعرية عند الشاعر محمد صالح ناصر.

وقد فرضت مادة البحث اتّباع خطة التزمناها في دراستنا، تتصدرها مقدمة متبوعة بمحثين، فالمبحث الأول خصّصنا به الجانب النظري، والذي قُسِّم إلى ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول موسوم بـ: "الجمالية والمكان لغة واصطلاحا " تناولنا فيه تعريف كلّ من الجمالية والمكان

لغة واصطلاحا، ووروده‌ما في القرآن الكريم، وفي الاصطلاح وقفنا عند تعريفات الفلاسفة وتعريفات المحدثين للجمالية والمكان، لِيَليه أقسام المكان وأنواعه، مع التطرق إلى المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم، معرجين إلى مطلب ثان موسوم بـ "اشكالية المصطلح" وهذا من أجل توضيح العلاقة بين المكان والمصطلحات المقاربة له ، وختمنا هذا المبحث بالمكان في النقد العربي الحديث والمعاصر، أما المبحث الثاني فخصصنا به الجانب التطبيقي الموسوم بـ: جمالية المكان من خلال الثنائيات الضدية والأبعاد والذي بدوره قسمناه إلى أربعة مطالب؛ المطلب الأول بيّنا فيه الأمكنة المغلقة والمفتوحة في القصيدة، حيث قمنا باستخراج تلك الأمكنة فيها، ووضحنا أهميتها عند الشاعر، أما المطلب الثاني فكان حول دراسة مجموعة من الأمكنة المذكورة في الديوان، والتي تندرج تحت مسمّى الأمكنة المرتفعة والمنخفضة، وأردفناه بمطلب ثالث نبين فيه نوع آخر من الثنائيات الضدية وهي البادية و الحضر، وفي الختام كان لنا دراسة التوظيف المكاني بين الأبعاد والدلالات.

وفي الأخير ذيلنا الدراسة بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها مع ذكر بعض التوصيات والمقترحات التي من شأنها أن تخرج الإبداعات الفنية المحلية من الركود الذي يطالها.

أما عن الدراسات السابقة للديوان فقد سبقت دراسته من طرف الباحثين ، ومن المصادر والمراجع التي اعتمدناها في الدراسة تنوعت بين القديم والحديث وكان أهمها:

- ديوان وحي الضمير في واحة زقرير، محمد صالح ناصر.
- غاستون باشلار، جماليات المكان.
- يوري لوتمان، ترجمة سيزة قاسم، جماليات المكان.
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي.
- جماعة من الباحثين، جماليات المكان.

وإنّ الصعوبات التي واجهتنا تكمن في قلة المصادر والمراجع، وذلك للظروف التي تمرّ بها الجزائر أمام جائحة فيروس كورونا؛ مما تعذر علينا التنقل إلى المكتبة وجمع مصادر ومراجع أكثر،

إضافة إلى عدم اجتماعنا بالمشرف، واعتمدنا على الشبكة العنكبوتية في جمع المادة اللغوية والتواصل مع المشرف، كانت هذه أهم الصعوبات التي واجهتنا في الدراسة.

وفي الأخير إن كانت هناك كلمة يجب أن تقال في هذا المقام فهي الاعتراف بالفضل لأهله، ومن أحق به غير الذي أضاء دربنا بملاحظاته المصوبة وكلماته التي بثت في نفوسنا الجدّ والعمل أكثر فأكثر، هو الأستاذ "محمد جهلان"، له منّا فائق التقدير والاحترام.

يوم:2020/09/05م

المبحث الأول: جمالية المكان بين الماهية والمفهوم

المطلب الأول : الجمالية والمكان لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : اشكالية المصطلح

المطلب الثالث: المكان في النقد العربي الحديث والمعاصر

يشغل المكان حيّزا كبيرا في الأعمال الأدبية، باعتباره عنصرا فعالا لا يمكن الاستغناء عنه ولا تتحقق النصوص الأدبية إلا بوجوده، باختلاف استعمالاته سواء كانت هذه الأعمال التي يحددها المبدعون واقعية أم مستمدة من خيالهم، وهي تختلف من مبدع إلى آخر، فالمكان هو المحور المحرك القادر على ابراز فكرة الكاتب لما يتركه من جمالية في أعمالهم، وفي هذا المبحث سنتطرق إلى تعريف مصطلح المكان ومصطلح الجمالية لغة واصطلاحا، مع ذكر أنواع الأمكنة، كما أننا سنوضح العلاقة بين المكان والزمان من جهة، وبين المكان والشخصيات من جهة أخرى في آخر هذا المبحث.

المطلب الأول: الجمالية والمكان لغة واصطلاحاً:

إنّ الحديث عن جمالية المكان يدعونا إلى تحديد المفاهيم اللغوية لهذين المصطلحين (الجمالية، والمكان)؛ لأن لكلّ مصطلح جذوره اللغوية، ومن ثمة تحديد المفاهيم الاصطلاحية.

أولا : الجماليـــــــة

إن أول سؤال يصادف القارئ عند قراءته للنص الأدبي والشعري خاصة هو: ماهو الشيئ الذي يتميز به نص ما دون غيره؟ وماهو الانطباع الذي يتركه في ذهن القارئ سواء كان إيجابيا أو سلبيا، لبقى ذكرى ثابتة مرتبطة بحياته، رغم تغير الظروف عبر الزمن، فنجد العديد من الأسئلة التي تراود القارئ بالنسبة للنص وجماليته، رغم اختلاف تحليلها، وبالتالي للحصول على لذة النص نتطلع لجمالياته ومنه :

أ- الجمال لغة:

ورد مصطلح "**الجمال أو الجمالية**" في العديد من المعاجم العربية منها "**معجم الوسيط**": أنّ الجَمَال صِفَة تُلْحَظُ في الأشياء، وتبعث في النفس سُروراً ورضاً، **وعلم الجمال**: بابٌ من أبواب الفلسفة يبحث في الجَمال، ومقاييسه، ونظرياته. [1]

ب-الجمال اصطلاحاً:

الجمال هو "الكمال الذي يمكن أن يدركه موضوع منظور أو مسموع أو متخيل" [1]،

(1) مجمع اللغة العربية: « **المعجم الوسيط**»، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص: 136.

والكمال هو " ما يطابق هدفًا محدّدًا، الهدف الذي توخته الطبيعة أو الفنّ عند خلق الموضع الذي ينبغي أن يكون كاملاً في نوعه". (2)

ج- الجمالية اصطلاحا:

هي تلك النزعة الجمالية في الأدب، تهتم بالمقاييس الجمالية بغض النظر عن المعايير الأخلاقية، استنادا على قول (الفن للفن)، وهي تبحث في الخلفيات الشّكلية للمنتج الفني أو الأدبي، وتختزل كافة عناصر العمل في جماليته. بحسب هذه النزعة لا توجد جمالية مطلقة، بل لكل عصر جمالياته التي تساهم فيها الحضارات والأجيال، والإبداعات الأدبية والفنية. ويتحقق شرط الإبداعية وفق هذه النّزعة ببلوغ الجمالية لإحساس المعاصرين، ولعلّ شروط كلّ إبداعية هو بلوغ الجمالية إلى إحساس المعاصرين (3)

ثانيا: المكـــــان:

1-التعريف اللغوي والاصطلاحي للمكان:

أ-في القرآن الكريم:

نستنبط تعريف المكان أولاً من القرآن الكريم، فقد ورد بدلالات مختلفة منها:

جاء بمعنى "الموضع والمحلُّ " في قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ سورة مريم، الآية: 16، أي اتخذت للعبادة مكاناً يلي شرقيّ المقدس أو من دارها معتزلةً عن النّاس. (4)

(1) هيقل: « **مدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال**»، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، ط1-2، 1978، ص: 92.

(2) سعيد توفيق: «**الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفية الجمال الظاهراتية**»، بيرووت، ط1، 1992، ص: 72.

(3) سعيد علوش: «**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**»: عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1،1985 ، ص:62.

(4) ابن بركات، عبد الله بن أحمد النسفي: «**تفسير النّسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** »، تح/يوسف بدوي، مج3، ج2، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998، ص: 329.

ومنها ما ورد بمعنى " المنزلة" أي منزلا كما جاء في محكم تنزيله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ سورة مريم، الآية: 75 . (1)

ووردت لفظة "مكانه" هنا تعني "بدلاً منه " أي أبدله على وجه الاسترهان في قوله تعالى:﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة يوسف، الآية: 78. (2)

ومن خلال الآيات التي وردت فيها لفظة " المكان" نجدها تحمل دلالات مختلفة، فأخذت معني: الموضع والمحلّ، والمنزلة، وبدلاً منه.

ب– التعريف اللغــوي:

إن لفظة المكان من الناحية اللغويّة أخذت معنى "الموضع" في مختلف المعاجم العربية القديمة، فنجد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** في "**كتاب العين**" يذكر لفظة المكان بمعنى الموضع، وأن المكَانُ " تَقديرُ الفعْل: مَفْعل، لأنه مَوْضعٌ لِلْكَيْنُونَةِ" (3)، وقد أورده **ابن منظور** في معجم "**لسان العرب**" بنفس المعنى في مادة (**مَكَّنَ**) «المكَانُ والمِكَانةُ واحدٌ...التهذيب: الليث: مكانٌ في أصل تقدير الفعل مفْعل؛ لأنّه مَوْضعٌ لِكَيْنُونَةِ الشيء فيه...**ابن سيده:** والمكَانُ الموْضِعُ، والجَمْعُ أَمْكِنةٌ كَقَذَالٍ وأَقْذِلَةٍ، وَأَمَاكِنُ جَمْعُ الجَمْعِ، قَالَ ثَعْلبُ: " يَبْطُلُ أَنْ يَكُونَ مَكَانُ فَعَالاً؛ لأَنَّ العَرَبُ تَقُولُ: كُنْ مَكَانَكَ، وقُمْ مَكَانَكَ، واقْعُدْ مَقْعَدَكَ، فَقَدْ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ مِنْ كَانَ أَوْ مَوْضَعُ مِنْهُ " . (4) ، ووردت لفظة المكان في معجم "**المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير**" كالتالي : « ومَكُنَ فُلاَن عندَ السُلْطاَن (مَكَانَةُ) وزَانَ

(1) ابن بركات، عبد الله بن أحمد النسفي: مر س ، ص: 349.

(2) المرجع نفسه، ص: 127.

(3) أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي:«**كتاب العين**»، تح/ عبد الحميد هنداوي، ج4، باب الميم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص: 161.

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدينابن منظور الأنصاري، الرويفعي الأفريقي: «**لسان العرب**»، مادة مكن، دار صادر، بيروت، ج: 13، ط3، 1414هـ، ص:414.

ضَخُم ضَخَامةٌ، عَظَم عِنْدَه وَارْتَفَعَ فَهُو (مَكِين) و(مَكَّنْتُه) مِنَ الشَّيء (تَمْكينًا) جَعَلْتَ لَه عَلَيهِ سُلْطَاناً وَقُدْرة (فَتَمَكَن) مِنْه، و قَدَر عَلَيْه ولَه مَكِنَةٌ أَيْ قُوة وشِدّة و(أَمْكَنَتْه) بالألف مثل (مَكّنته) و(أمكَنني) الأمر تَمَهّلَ وتَيَّسَرَ».[1]

ونخلص من هذه التعريفات المعجمية بأنّها تشترك في معنى واحد وهو: الموضع، رغم الاختلافات الجذرية اللغوية البسيطة للفظة مكان.

ج–المعنى الاصطلاحي:

ولتحديد المفهوم الاصطلاحي الدقيق لمصطلح المكان– باختلاف دلالاته– فإننا نتطرق إلى العديد من المجالات والعلوم، والميادين المعرفية التي احتضنت هذا المصطلح.

فمن النّاحية الفلسفية نجد، الصراع الذي ولد الاختلاف لدى الفلاسفة في تحديد مفهوم هذا المصطلح، من بينهم : "**أفلاطون**" الذي يرى بأن المكان هو "الخلاء المطلق" و"المكان هو المسافة الممتدة والمتناهية لتناهي الجسم" اذا المكان غير مستقل عن الأشياء ويتشكل من خلالها، بينما يرى "**أرسطو**" أن المكان "موجود ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة، التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى مكان آخر، والمكان لا يفسد بفساد الأجسام ".المكان هو المكان العام الذي يحوي الأجسام كلها،ويساوي مجموع الأمكنة الخاصة.

وعرّف (الفلاسفة الإسلاميون) المكان بأنه: "السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي "، " فالمكان هو السطح المساوي لسطح المتمكن، وهو نهاية الحاوي المماس لنهاية المحوي. وهذا هو المكان الحقيقي. وأما المكان غير الحقيقي فهو الجسم المحيط". [2]

(1) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ:«**المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير**»، دار النشر مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ج1، ص: 221.

(2) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: مرجع سابق، ص:28 - 29.

ويرى "**أبو بكر الرازي**" أن المكان ينقسم إلى مكان كلّي أو مطلق، ومكان جزئي هو مكان مرتبط بالمتمكن"، أما "**الفارابي**" فيرى "أن المكان موجود وبيّن، ولا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به. [1]

والمكان اجتماعيّاً يعني: "البيئة الاجتماعية وتشمل أثر العادات والعرف والتقاليد، ونوع العمل "السائد، في المجتمع، وأثر الحضارة عامة على الفن. [2]

أما من الناحية الأدبية والفنية فيمثّل المكان محورًا أساسيّا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، غير أن مصطلح المكان – في الآونة الأخيرة- لم يعُدْ يعتبر مجرّد خلفية تقع فيها الأحداث الدراميّة، كما لا يعتبر معادلا كنائيّا للشخصية الروائية فقط، ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكليّ وتشكيليّ من عناصر العمل الفنّي، وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكّلان بُعدًا جماليًّا من أبعاد النّص الأدبيّ، إضافة إلى ذلك مازال – المكان- يلعب دورًا هامًّا في تكوين هويّة الكيان الجماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، وقد أثّرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم. [3]

فقد جاء في مقدمة" غالب هلسا " كتاب "جماليات المكان ""**غاستون باشلار**" (Gaston Bachelard) " فيقول الكتاب يجيب عن المكان في الصورة الفنية بأنه هو المكان الأليف وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، ومكانة الأدب العظيم تدور حول هذا المحور [4]

(1) مهدي عبيدي: «**جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا**» (حكاية بحار-الدقل-المرفأ البعيد)،الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2011، ص: 29.

(2) المرجع نفسه، ص: 30.

(3) المرجع نفسه ، ص: 28.

(4) غاستون باشلار:«**جماليات المكان** »،تر/ **غالب هلسا**، المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص: 06.

وقد بيّن " **غاستون باشلار**"(Gaston Bachelard) اهتمامه بالبيت وأجزائه، بكلّ دلالاته، فهو يرى أنّ البيت القديم بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه. ، والبيت هو ركننا في العالم، إنه —كما قيل مرارًا– كوننا الأول بكل ما للكلم من معنى. [1] ، والبيت يحمل أحلام اليقظة والعالم، ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء، وهو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلامَ الإنساني. [2]

ونجد ارتباط المكان بالزمان فهو يكشف عن تواصله زمني معه فلا مكان بدون زمان في نفس الوقت الذي تدمر الصورة الشعرية العلاقة المنطقية بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتتحول إلى زمكانية وجودية خاصة بتكوينها، وهي قادرة على أتحول الزمان إلى مكان، والمكان إلى زمان بفضل ما تتميز به من قدرة على تخطّي حواجز الزمان والمكان، وابدالهما في وجود جديد. [3]

فنجد أن الزمان يرتبط بالإدراك النفسي، والمكان يرتبط بالمكان الحسّي، وإذا كان الزمان يرتبط بالأفعال والأحداث وأسلوب عرضها هو السرد، فإن أسلوب تقديم المكان هو الوصف . [4]

وقد أقام "**يوري لوتمان**" (Youri Lotman)نظرية متكاملة للتقاطبات المكانية منطلقاً من فرضيته أنّ الفضاء هو مجموعة من الأشياء المتجانسة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة، ولغة العلاقات المكانية تصبح من الوسائل الأساسية للتعرف على الواقع، فمفاهيم مثل : الأعلى/والأسفل، والقريب/والبعيد، والمنفتح/والمنغلق، والمتّصل /والمنقطع ...كلّها تصبح أدوات لبناء النماذج الثقافية دون أن تظهر عليها أية صفة مكانية، ويرى (لوتمان) أن النماذج الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية تتضمن– وبنسب متفاوتة– صفات مكانية تارةً في شكل تقابل: السماء/ والأرض، وتارة في شكل نوع من التراتبية السياسية والاجتماعية حين تعارض بين الطبقات العليا/والدنيا، وتارة في صورة صفة

(1) غاستون باشلار : مرجع سابق ، ص: 36.

(2) المرجع نفسه ، ص– ص: 37- 38.

(3) يوري لوتمان وآخرون:«**جماليات المكان** »، عيون المقالات، باندونغ، الدار البيضاء، ط2، 1988، ص: 22.

(4) محمد عزام:« **شعرية الخطاب السردي** »، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2005، ص: 68.

إطلاقية حين تقابل بين اليمين/واليسار...وكلّ هذه الصّفات تنتظم في نماذج للعالم تطبعها صفات مكانية بارزة، وتقدم نموذجاً إيديولوجياً متكاملاً خاصاً بنمط ثقافي معطى .

وفي دراسته لشعر (زابولوتسكي) الذي تلعب البنيات المكانية فيه دوراً عظيماً، يجد بأنّ (الأعلى) يكون دائماً مرادفاً عنده لمفهوم (البعيد)، و(الأسفل) مرادفاً لمفهوم (القريب) ولذلك فإن كلّ انتقال يبقى متجهاً إمّا إلى (الأعلى) أو إلى (الأسفل)، وتنتظم الحركة على المحور العمودي الذّي ينظم الفضاء الأخلاقي فالشر يضعه الشاعر في (الأسفل)، والخير يوجّهه نحو (الأعلى). [1]

ومن أهم الثنائيات الضدية التي سنتطرق إليها من خلال وصفنا للأماكن وهي كالآتي:

1-المغلق / المفتوح

2- المرتفع / المنخفض

3- البادية / الحضر.

1- الأمكنة المغلقة والمفتوحة:

إنّ المتأمل في شكل الأماكن بأنواعها يجد أنها تنقسم إلى أماكن عامة (أماكن الانتقال)، وأماكن خاصّة (أماكن الإقامة)، "**فحسن بحراوي**" فرّق بين أمكنة الانتقال وأمكنة الإقامة بقوله: « أمّا أماكن الانتقال فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطّات، وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي» . [2] وبالتالي فأماكن

(1) م ن ، ص:69.

(2) حسن بحراوي:« **بنية الشّكل الروائي**»، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1990م، ص: 40

الإقامة هي الأماكن المغلقة وتكون خاصة وقد تكون اختيارية (البيت)، أو إجبارية (القبر)، أما أماكن الانتقال فتكون مفتوحة (كالشوارع، والأحياء).

أ- المكان المغلق:

إنّ الحديث عن الأمكنة المغلقة هو الحديث عن المكان الذي حدّدت مساحته ومكوناته، والمكان المغلق هو مكان العيش والسّكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، والذي يبرز الصّراع الدّائم القائم بين المكان كعنصر فنّي وبين الإنسان الساكن فيه. [1] ويتميز المكان المغلق بمميزات قد تكون إيجابية مثل:الألفة، والأمان، وأماكنَ سلبيّة كالخوف والوحدة.

ب- المكان المفتوح:

المكان المفتوح عكس المكان المغلق، والمكان المفتوح عادة يحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع، وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان. [2] وهي متاحة للجميع "ولا تحدّها حواجز وتسمح للشخصية بالتطور والحرية كالشوارع والحدائق العامة وما شابههما " [3]

ج- الأمكنة المرتفعة والمنخفضة: ر

كّز "يوري لوتمان " (Youri Lotman) على التضاد الذي يعارض بين " العلو" و"الانخفاض"، الذي يقابله بالحركة والسكون «حيث أن الأماكن المرتفعة تسمح بوجود الحركة،

(1) مهدي عبيدي: مرجع سابق، ص:43.

(2) مهدي عبيدي: مرجع سابق، ص : 95.

(3) محبوبة محمدي محمد أبادي: « **جماليات المكان في قصص سعيد حورانية**»، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011، ص:44.

بينما تتميز الأماكن المنخفضة بالسكونية» [1]

2- ثنائية البادية والحضر:

إنّ البداوة ظاهرة عريقة في المجتمع العربي، وجدت منذ أن وجِد ذلك المجتمع، وهي ظاهرة مستمرة إلى يومنا هذا، وقد ارتبطت حياة البداوة بالصحراء في المكان الذي يعيشونه، يؤثرون ويتأثرون فيه [2].

والبدو أصل للمجتمعات كلّها وهم تبعاً لذلك أقدم من الحضر" إن الإنسان يبدأ أولا بالسعي للحصول على ما يسدّ رمقه، ويكفل له استمرارية حياته، وهذه هي بداية كل التجمعات البشرية، ومنها تأتي كلمة بادية، التي قد تعني من بين معانيها الكثيرة البداية،[3] وبما أن الحضر منشغلون بالترف، والكمال في أحوالهم، فيستحيل أن يكونوا بحال من الأحوال سابقين على البدو من حيث النشأة، لأن الانشغال بالضروري أقدم وسابق على الانشغال بالكمالي، وبما أن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبداوة أصل للحضارة وسابق عليه، وخشونة البداوة قبل رقة الحضارة، والمدنية غاية للبدوي يجري إليها، وهذا شأن القبائل البدوية كلها، أما الحضري فلا يعود للبادية إلا لضرورة تدعوه إليها[4]

ومن خلال المفاهيم السابقة ندرك أنّ المكان جزء لا يتجزأ من حياتنا ابتداءً من بيت الطفولة الذي ترعرنا فيه إلى نهاية حياتنا، والذي بنَيْنا عليه أحلامنا بجميع تفاصيلها فأصبح جزء لا يتجزأ من تجاربنا في الحياة فنجد أن المكان ومدى تواصله بالزمان لأنه يكشف ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

2- أقسام المكان:

---

(1) يوري لوتمان وآخرون: مرجع سابق، ص:66 .

(2) أحمد اسبيتان الشواورة: « **مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي** »، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في الأدب والنقد، إشراف الأستاذ لدكتور خليل الرفوع، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، 2015. ص:4.

(3) أحمد اسبيتان الشواورة: مرجع سابق، ص: 7.

(4)المرجع نفسه، ص: 8.

وقف العديد من الأدباء والنقاد على تقسيمات المكان في الدراسات الأدبية من الناحية الفنية، فقد قسم "**مول ورمير**" الأمكنة بحسب السلطة التي تخضع لها هذه الأمكنة ومنها: [1]

- ✓ "**عندي** " وهو المكان الذي أمارس فيه سلطتي ويكون بالنسبة لي مكانا حميميا وأليفا.
- ✓ "**عند الآخرين** " وهو مكان يشبه الأول في نواح كثيرة ولكنه يختلف عنه من حيث إنني – بالضرورة- أخضع فيه لوطأة سلطة الغير، ومن حيث أنني لا بد أن أعترف بهذه السلطة.
- ✓ "**الأماكن العامة** " هذه الأماكن ليست ملكا لأحد معيّن، ولكنّها ملك للسلطة العامة (الدولة) النابعة من الجماعة؛ والتي يمثّلها الشرطي المتحكم فيها ففي كل هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته وينظم فيها السلوك، فالفرد ليس حرا لديه أحد يتحكم فيه.
- ✓ **المكان اللامتناهي** : ويكون هذا المكان – بصفة عامة - خاليا من التضاريس فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد مثل الصحراء، هذه الأماكن لا يملكها أحد وتكون الدولة وسلطاتها بعيدة بحيث لا تستطيع أن تمارس قهرها، ولذلك تصبح أسطورة نائية، وكثيرا ما تفتقر هذه الأماكن إلى الطرق والمؤسسات الحضارية، وإلى ممثلي السلطة؛ فهذه الأماكن تقع بعيدة عن المناطق الآهلة بالسكان ولذا تكتسب دلالات خاصة مثل "الغرب البعيد" في الولايات المتحدة الأمريكية، أو غابات الأمازون في البرازيل، غير أن هذه الأماكن البكر أخذت في الانقراض بفعل تطور وسائل الاتصال، وكانت تمثل استعارة ديناميكية في الحضارة البشرية فكانت المغامرة والحرية والانطلاق والاكتشاف، و الإفلات من سطوة السلطة، وابتكار القيم الجديدة، وامتداد قدرات الذّات، ويرتبط المكان ارتباطا لصيقا بمفهوم الحرية، ومما لا شك فيه أن الحرية- في أكثر صورها- بدائية، وهي حرية الحركة، ويمكن القول إن العلاقة بين الانسان والمكان –من هذا المنحى- تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية.

بالإضافة إلى أنواع أخرى للمكان عند "**غالب هلسا**" فكان هو أول الدارسين للمكان، وذلك في كتابه " المكان في الرواية العربية" درس فيه التأثير المتبادل بين المكان والسكان،

(1) يوري لوتمان وآخرون: مرجع سابق، ص:61.

وأظهر أن المكان ليس ساكنا، بل هو قابل للتغيير بفعل الزمان وقد صنّف المكان في أربعة أنواع وهي: [1]

أ- المكان المجازي: وهو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث ومكملاً لها.

ب- المكان الهندسي: وهو المكان الذي يُعرض بدقّة وحياد، من خلال أبعاده الخارجية.

ج-المكان كتجربة معاشة داخل العمل الفني: وهو قادر على إثارة ذكرى المكان عند المتلقي.

د-المكان المعادي: أضاف **هلسا** (المكان المعادي) كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر، ومكان الغربة، ويدخل تحت السلطة الأبوية، بخلاف الأماكن الثلاثة السابقة فيراها أماكن عمومية. [2]

3- أنواع المكان:

اختلف الباحثون في تحديد طبيعة المكان فمنهم من نظر إليه من الجوانب النفسية والفنية وأخرى فلسفية، وبالتّالي فإن المكان ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي: المكان الطباعي، المكان الجغرافي، فضاء الدلالة.

- **المكان الطباعي:**

وهو المكان الذي يحتله النص على الصفحة، ذلك أن «الكتابة ليست تنظيم الأدلة على أسطر أفقية ومتوازية فقط، إنها قبل كلّ شيئ توزيع لبياض وسواد على مسند وهو في عموم الحالات الورقة البيضاء». وإذ كانت هذه القضية تعدّ ثانوية بالنّسبة للشكل الروائي، فإنها في الحقيقة أساسية جدا بالنسبة للنّص الشّعري، خاصة بعد أن تجاوز الشعر العربي البنية

(1) محمد عزام: مرجع سابق، ص: 67.

(2) محمد عزام: مرجع سابق، ص: 67.

العمومية القديمة حيث كان شكل النص ثابتا وكنّا نعرفه مسبقا، وبعد ذلك التجاوز صار «أول ما يتوقف عنده القارئ للشعر المعاصر هو انقلاب لعبة ملء الصفحة»؛ إذ أخذ هذا الشّعر – ومنذ مدة غير قصيرة– يشتغل طباعيّا بطريقة مخالفة وقابلة للاختلاف مع كل نصّ جديد لأن «المتغيرات الإيقاعية التي عرفتها القصيدة العربية انعكست آليّا على اشتغالها الفضائي المعتاد ».

ويدخل المكان الطباعي كل ما له علاقة بالنّص وطريقة عرضه على الصفحة البيضاء بدءا بحجم الكتاب مرورا بالورق ونوعيته ومختلف التقنيات الطباعية التي يوظّفها الشّاعر في تنظيم صفحته من فراغات وحواش وألوان، وانتهاءً بالغلاف وما يحويه من رسوم وألوان، فالنّص الشعري المعاصر إذن هو«جسم طباعي له هيئة بصرية مظهرية »، وهذه الهيئة «محسوسة» بواسطة العين ومن ثم وجب الالتفات إلى الجسم والعناية بعناصره المختلفة لأن الجوانب التي تبدو شكلية وثانوية تسهم في إنتاج الدلالة ».[1]

- **المكان الجغرافي**: وهو المكان الذي تدور فيه الأحداث أو المكان الذي يغري الشاعر فيتحول إلى موضوع تخيل، وهو غالبا ما يحدّد جغرافيا من طرف الكاتب، فإذا ذكر اسم المدينة مثلا أو المنطقة أو الركن فنحن ندرك تلقائيا الحدود الجغرافية لهذه الأمكنة، وينبغي لنا أن نشير أن المكان الجغرافي يكتسب داخل النص أبعادا نفسية واجتماعية وتاريخية وعقائدية « حتى إننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه أو ما يرتبط به»[2]
- **الفضاء الدلالي**: لعلّ القارئ يتساءل إزاء هذا العنوان الفرعي: لماذا الفضاء الدلالي بدلا من المكان الدلالي؟

إنّ مصطلح فضاء –كما أشرنا– يمتلك نوعا من الاتّساع، ولا يرتبط فقط بالحيّز الهندسي محدود الأبعاد، وإنّما يتعلق بالأفق الرحب، ثم إن استعمال " المكان الدلالي" بدلا من "الفضاء الدلالي" هو استعمال يناقض طبيعة الأدب حيث لا وجود "لمكان" تختبئ فيه الدلالة

(1) فتيحة ،كحلوش: «**بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري**»،دار الانتشار العربي،بيروت–لبنان، ط1، 2008، ص:23.

(2) م.ن، ص:23.

في النص الأدبي، وإنما ما يوجد هو التعبير الموحي، ولهذا جاء استعمالنا لمصطلح فضاء، وعبارة الفضاء الدلالي، ذلك أن الأمكنة الموظّفة في نصّ من النصوص الشعرية تتجاوز دائما واقعيتنا بمجرد تحوّلها إلى جسد لغويّ « إذ لا مكان خارج فعل المخيلة »، وبما أنّ المخيّلة تحذف أحيانا وتضيف أحيانا أخرى، فهي تضعنا دائما أمام تعدد التوقعات، وبالتالي يتجاوز التعبير الشعري المعنى الواحد، ويمنح القارئ على الدوام فرصة تعدد قراءة النص. (1)

4- أبعـــــــاد المكان:

البعد النفسي:

يدور البعد النفسي حول تحديد مشاعر الشخصيات من نفور وقبول، وانتماء وتعاطف إزاء أماكن مختلفة وهو من أهم أبعاد المكان الفني، لأنه البعد الوحيد الذي يسهم مع غيره من العناصر الفنية في تشكيل بنية العمل الأدبي.

لطالما ارتبط البعد النفسي للأعمال الأدبية بما فيها الشعر الحديث بما يُعرف بالمنهج النفسي الذي لاقى ريادة كبرى في مجال الأدب، وقد كان المنادون به يرون الأديب عامة والشاعر بصفة خاصة قادرا بخلاف الانسان العادي على استعادة تجربته مع المحافظة على توازنه وهدوئه. (2).

ويعود البعد النفسي للمكان إلى ما يمكن أن ينهض به المكان من أحاسيس وتشكلات نفسيّة مختلفة ترتدّ إلى الذات الشاعرة حاضرة في النصّ ومعبّرة عن تجاربها ومتناقضاتها .فكان استحضار المكان مسهما في تقديم رؤية نفسيّة متشكلة في صور مختلفة حيث كان للمكان دور في إبراز جملة من الاهتزازات النفسية للذات الشاعرة منشئة النصّ التي تتبدّى ذاتا يائسة أو

(1) م.ن، ص: 24.

(2) عمارة الجداري: «**المكان والبعد النفسي في الشعر العربي القديم**»، مجلة جسور المعرفة، جامعة سوسة، تونس، سبتمبر 2018، م4، ع3(15)، ص:08.

باحثة عن الإحساس بالثبات أو محتفية بالحياة ويمكن أن تطغى هذه الإحساسات مختلفة على النص الشعري، متلبسة بالمكان بمستوياته المتنوعة.

البعد الاجتماعي:

البعد الاجتماعي هو البعد الذي يتبدى في العلاقات الاجتماعية الرابطة بين الشخصيات وقيمهم وتقاليدهم وطبائعهم ومستوى معيشتهم وما يعترضهم من مشكلات وقضايا.

ولعلّ الجانب الاجتماعي كانت له حصة الأسد، إذ جادت قرائح الشعراء بقصائد جمة تناولت الأبعاد الاجتماعية بمختلف ألوانهاو زركشاتها، وواكبت جميع مناحي الحياة الاجتماعية: كقضايا الفقر، والتعاون والتضامن، والأعراس الجماعية، والمراثي...وغيرها. [1]

فالمكان هو منطلق الشاعر ومنتهاه، لأن العلاقة بين الشعر والمكان علاقة عميقة الجذور، متشعبة الأبعاد، ومن خلالها قد يصيب الشاعر على مكان ما طابعا خاصا، فيحوله من مسكن مخرب إلى طلل مثيرا، ومن حجر أصم إلى شاهد على لحظات مجد، وقد تكتسب بعض الأماكن شاعرية تكاد تلازمها كالصحراء و البحر وغيرها.

أما بالنسبة للبعد الاجتماعي، فقد أثرت العديد من العوامل في تشكيل رؤية الشاعر للمكان من خلال هذا البعد، فالتجربة الواقعية وعمق المعاناة والظروف النفسية المؤثرة في تكوين شخصيته تداخلت في تشكيل الصورة المكانية وتلوينها. [2]

البعد الوطني:

(1) عمر بن طرية: « **البعد الاجنماعي في ديوان همسة شاعر للشاعر بشير قيطون**»، مجلة الذاكرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،2006، ع7، ص:160

(2) خرفي محمد صالح: «**جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر**»، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، إشراف أ.د الشيخ صالح، 2005م-2006م، ص: 112.

يعتبر الشعر ديوان العرب المخلد لتاريخهم وبطولاتهم ومآثرهم، فهو أحد أبرز الركائز الشعرية لما حمله من معان سامية عبر سنين طويلة قبل وبعد الثورة. وحتى الآن بقي شغف الدراسة والتعمق في جوانبه وأبعاده، حيث أنه كان عنوانا لمناصرة الصمود والكفاح في زمن الثورة، وكان يتميز بمعالجته لقضايا عديدة سواء ما تعلق بالأمة العربية أو قضايا انسانية أخرى، فيكون بذلك البعد الوطني في شعر الثورة أحد سمات الشعر الجزائري، ويقوم على تعبير أبناء الجزائر من الشعراء عن قضيتهم الوطنية في مقاومتهم للاحتلال الفرنسي والتنديد بجرائمه والدعوة إلى مقاومته والتخلص منه، فكثيرٌ هم الشعراء الجزائريين الفطاحل الذين تبنوا النزعة الوطنية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: مفدي زكريا، محمد صالح ناصر و غيرهم...

فالشعر مرآة عاكسة لواقع المجتمع وما يجري فيه من أحداث ووقائع تظل شاهدة على التاريخ.وما تحدثه من انطباعات وأفكار في النفس مما يجعله صادقا بكينونة الأمة وذاتها ومنه فقد اكتسبت الثورة العربية صورة العمق والأصالة. [1]

البعد السياسي:

لطالما ارتبط البعد السياسي بالبعد الوطني في الشعر السياسي فكثيرا ما تضمن أحدهما الآخر، في كل العصور إلى أن توطدت العلاقة بينهما في العصر الحديث فالشاعر المعاصر لم يعد ضيق الأفق محدود النظرة، لا يعرف غير منفعته الشخصية بل يتخذ موقفا من في شتى المواقف السياسية التي تمس وطنيته و قوميته، فقد شهد الشعر السياسي الحديث تطورا في المضامين فقد شاعت فيه مفاهيم حديثة مثل : انتخابات، المجلس، المجالس النيابية، الأحزاب، حرية الشعب...

(1) عبد القادر بوزياني: «**أبعاد الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث**»، مجلة الكلم، م04، ع01، أفريل 2019، ص:57.

وتظهر تجليات البعد السياسي في الشعر الحديث من خلال مضامينه والمواضيع التي يتناولها والمتمثلة في:

- التحدث عن نظام الحكم السائد في دولة ما من حيث كونه عادلا او ظالما...
- مهاجمة الاحتلال والاستدمار، والتنديد بجرائمه والدعوة إلى مقاومته والتخلص منه
- التغني بالحرية والنصر، وتصوير الحالة التي ستصبح عليها البلاد بعد التخلص من الاستدمار
- مدح الأبطال والحكماء الوطنيين والثوريين، ورثاء الشهداء، والتغني ببطولات الأسرى والجرحى[1]

فقد تجلى البعد السياسي والوطني بوضوح في النص الشعري الجزائري حتى وإن اختلفت دلالات ذلك من شاعر إلى آخر ومن نص إلى آخر، لكن ما هو متفق عليه هو هذا التجلي الوطني والمتابعة الشعرية للأحداث السياسية التي مر بها الوطن الجزائري نام ورؤيا فكرية منسجمة مع توجهات الشعب الجزائري ومع الآمال المتعلقة على شعرائه ومفكرية .

وهو ما سيأتي شرحه مفصلا في التوظيف المكاني.

البعد التاريخي:

إنّ النص الشعري وليد شرطيه التاريخي والديني –في مطلق الأحوال– ينطلق منهما ليعبر عنهما، وكل نص يسعى إلى الارتباط بالجذور، والارتكاز على الماضي والحاضر. فتاريخ الشعر هو تاريخ المكان.

(1) عبود جودي الحلي وميس هيبت حميد: «**الاتجاه السياسي في شعر علي الفتال**»، مجلة أهل البيت، ع16، دت، ص ص: 426-427

«...فالعودة إلى التاريخ ليس المقصود منها اعادة كتابة هذا التاريخ بأحداثه ووقائعه الحرفية فهذا ليس عمل الشاعر، وإنما اعادة قراءة هذا التاريخ والواقع، وفق رؤية وموقف الشاعر في الوقت نفسه وفق الرؤيا التي تنسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة الشعرية، فيكون هذا التداخل بين اللغوي والتاريخي والديني لإضافة نصية جديدة وحقيقية تتجاوز الموجود حاضرا وماضيا، لترسم المسار الشعري الجديد المتميز ولتبرز المفارقة بين الماضي والحاضر

والشاعر في الزمان والمكان بحاجة ماسة إلى قليل من التاريخ، وهذه الحاجة تزداد كلما تضاعفت أزمة الهوية لدى المجتمع، وتعمق الإحساس بضياع الوطن ويقدر ما يحس الشعراء بالاقتلاع من ذواتهم، والغربة في أرضهم، يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكاثف جهدهم في بناء مدن متخيلة باللغة، أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ... ».[1]

ولا يمكن النظر للمكان الذي يعيش فيه الانسان، كوضع يمارس فيه حياته فحسب وإنما هو أيضا مكان ثقافي أي أن الإنسان يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها لا من خلال توظيفها المادي المعيشي فقط بل من خلال إدخالها في نظام اللغة، فاللغة هي المقابل اللامحسوس لعالم المحسوسات وهي تنوب عن عالم الواقع وتحل محله، وهذه العملية ليست عملية سلبية أو بريئة، ولكنها مشبعة بالقيمة، فالأشياء تنمى ولكن في الوقت ذاته حاملة لدلالات إيجابية أو سلبية وبناءً على هذا الأساس سيصبح المكان مسرح الأحداث التي تصنعها الذاكرة التاريخية برموزها المتنوعة، حيث نجد أن المكان سجل مختلف الثقافات والعادات والمعتقدات وكل ما يتصل بالإنسان منذ عابر الأزمان، لذلك يكتسب قيمة الفنية والموضوعية بوصفه وعاء للزمان، حيث يسعى الإنسان من خلالها ووفق مجموعة من العوامل التي تشكل محيطه النفسي تحقيق شعوره بالتواجد والكيان الفردي الاجتماعي [2]

(1) خرفي محمد صالح: مرجع سابق، ص: 151.

(2) أوريدة عبود: «**المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية**»، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دط، دار الأصل،

فهناك رأينا كيف يعود الشاعر إلى ذاكرنه الماضية ليستثمرها في إغناء النص وإعطائه دلالات جديدة، وكيف تفاعل الشاعر مع أمته ومنطقته التي شكلت هاجس ومركز أساسي له.

البعد الديني:

لا يمكن للانسان العيش طوال حياته مفصولا عن تراثه بشكل عام، وعن تراثه الديني بشكل خاص فهو ينتمي إليه ويرى نفسه فيه لذلك كان له بالغ القيمة لدى الانسان، فقد أدرك الشعراء هذه الحقيقة و ما للحالات الدينية من عميق الأثر و قوة التفاعل في وجدان الشعوب،[1] لهذا عمد شعراء العصر الحديث إلى احتضان البعد الديني و استخدامه استخداما فنيا للدلالة على جمالية المكان، واستقى الشعر الحديث فيض معينه من القرآن الكريم والسنة النبوية وروحانية الشعائر الدينية.

البعد الديني قائم في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر لما يتميز به الشعراء الجزائريون من حبّهم للإسلام فكانوا يحفظون القرآن الكريم؛ والأحاديث النبوية الشريفة، وهذا ما وظفوه في أشعارهم فراحوا يرددون معاني آيي القرآن الكريم في أشعارهم، وهذا يدل على نشأتهم الدينية فشربوا من النبع الصافي وتربوا في بيئة إسلامية، مما جعلهم يضفون على أحداث الثورة الجزائرية طابعا إسلاميا مميزا، معتبرين ضحاياها شهداء، وكفاحكم ضد الظلم والطغيان جهادا في سبيل الله. [2]

د.ت، ص 42 .

(1) زين العابدين بن هدي: « **مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة**»، ترجمة الرموز الدينية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015، ص:30.

(2) عبد القادر بوزياني، مرجع سابق، ص:61.

مما سبق يتبين لنا أن البعد الديني يتجلى بشكل واضح في قصائد الشعر الحدث فقد جعل شعراء العصر من المصادر الاسلامية رافدا لإبداعاتهم الشعرية، وهذا لانتشار الثقافة الدينية بين الناس عامتهم وخاصته.

5- المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم:

أ- الحيّز:

✓ **لغة:**

الحيّز في اللغة يعني الناحية، وأحيازٌ الدّار نواحيها ومرافقها. (1)

✓ **أما في الاصطلاح:**

الحيز لدى **غريماس** (Greimas) هو الشيء (المحتوى على عناصر متقطعة) انطلاقا من الامتداد المتصوّر هو على أنه بعد كامل ممتلئ دون أن يكون حل لاستمراريته، ويمكن أن يدرس هذا الشيء المبني من وجهة نظر هندسية خالصة.(2)

وللحيز مظاهر معروفة يمثل فيها وهي في تمثلها :

✓ **المظهر الجغرافي**: إنّ مفهوم الجغرافيا يعني كما يدل عليه أصله الإغريقي « وصف الأرض » وأن هذا اللفظ مركّب من جذرين اثنين، سابقه «Gé» ومعناها الأرض، ولاحقه «Graphe-Graphie»، ومعناها أو معناهما الكتابة، فإن لفظ الجغرافيا انطلاقا من أصله الإغريقي القديم يعني علم المكان أي مثول الكلام في مظاهر مختلفة، وأشكال متعدّدة: الجبال، السهول، والهضاب، والوديان والغابات، غير أن الجغرافيا أصبحت تنصرف إلى تحديد أمكنة بعينها ذات حدود تحدّها وتضاريس تتّسم بها.

✓**المظهر الخلفي**:«المظهر غير المباشر» بحيث يمكن تمثّل الحيّز بواسطة كثير من الأدوات اللغوية غير ذات الدلالة التقليدية على المكان مثل: الجبل والطريق والبيت والمدينة. (3)

(1) أحمد بن محمد بن علي الفيومي:« **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** »، م س، مادة: حوز، ص:156.

(2)المرجع نفسه، ص: 122

(3) عبد المالك مرتاض: مرجع سابق، ص- ص: 123-124.

ب– الفضاء:

✓ **الفضاء لغة:** ما استوى من الأرض واتّسع [1].

ومن خلال هذا التّعريف ندرك ارتباط الفضاء بالمكان الواسع.

✓ **اصطلاحا:**

عرَف مصطلح الفضاء تطوّرا كبيرا من خلال شموليته، ومن بين الذين اهتموا بمصطلح الفضاء: "**حسن نجمي** " الذي أوجد للفضاء استراتيجية خاصة قائمة على القراءة في المقام الأول، فعَدَّه المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ومن ثم فإن أي إلغاء أو إقصاء لمفهوم الفضاء في النظرية الأدبية إنما هو قمع معين لهوية من هويات الخطاب الأدبي "، بينما خصّ "**حميد لحمداني** "الفضاء من كتابه "بنية النص السردي"حيث عالج فيه الفضاء الحكائي من خلال مستويات البحث النظري في موضوع الفضاء،" أما "**حسن البحراوي** " فقد تناول الفضاء في كتابه "بنية الشكل الروائي" الفضاء الشخصية 1990، فجعل بابه الأول خاصا لعنصر الفضاء، أتى فيه على بنية المكان في الرواية المغربية وأشار إلى أماكن الاقامة والانتقال ". [2]

أشكالـــــــه:

يلخّصه **حميد لحمداني** بقوله تبيّن لنا حتى الآن أن مفهوم الفضاء يتخذ أربعة أشكال:

1- **الفضاء الجغرافي**: وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيه.

2- **فضاء النص** : وهو فضاء مكاني أيضا غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكاية باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب.

3- **الفضاء الدلالي** : يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.

---

(1) ابن منظور: مصدر سابق، ص: 122.

(2) عبد الرحمن بن زورة: «**شعرية الفضاء في النقد الروائي المغاربي المعاصر**» (**المفهوم والتحولات**)، مركز الكتاب الأكاديمي، دمشق، د ط، 2005، ص: 69.

4- **الفضاء كمنظور** : ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الروائي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشب في المسرح. (1)

ومن خلال مختلف الآراء الواردة لتعريف المصطلحات الثلاثة (المكان، الحيز، الفضاء) نستنتج أن الاختلاف يكمن في الاتّساع والضيق إلا أنه يبقى نفس المفهوم.

المطلب الثاني: اشكالية المصطلح:

يعدّ مصطلح المكان من المصطلحات التي تناولتها الدّراسات النقدية الحديثة، خاصة مع وجود مصطلحات أخرى متداخلة ومترادفة كالفضاء والحيز، يصعب التفريق بينهم، فمن بين النقّاد والباحثين الذين سعوا إلى الوصول إلى تحديد مصطلح ثابت يرى كل من:

"**سعيد يقطين**" فقد وقف على جملة من الفوارق التي تميّز الفضاء عن المكان باعتبار "أن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي "، وهو نفس الطرح الذي أكّده "**سمر روحي**" بقوله: " إنّ مصطلح الفضاء أكثر شمولا واتّساعا من مصطلح المكان "، ويشير إلى ارتباط الفضاء بالمكان فيبيّن " أن الفضاء مرتبط بالمكان في انغلاقيته؛ أي ذلك المكان الفيزيقي الذي فيه الأشياء المدركة مباشرة عن طريق الحواس، قبل أن يستقر مفهومه على الخلاء أو الخلو من المكان، فالمكان أصله الأرض، وعندما يتجرد يصبح الفضاء" (2)

وقد جاء "**عبد المالك مرتاض**"في كتابه "**في نظرية الرواية**" أن مصطلح «الفضاء» من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء و الفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله في النتوء، والوزن، والثقل والحجم والشكل، على حين أن المكان نريد أن نقفه، في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده. (3)

---

(1) عبد الرحمن بن زورة، مرجع سابق، ص: 31.

(2) المرجع نفسه، ص: 27.

(3) عبد المالك مرتاض: مرجع سابق، ص : 121.

ولا يكاد النقاد الغربيون يصطنعون مصطلح "المكان " إلا عرضا، ولدلالات خاصّة، وعبر حيّز ضيّق من نشاطهم، أما المصطلح الشائع والذي يعنونون به كتبهم ومقالاتهم فإنما هو الحيّز بالمقابل الأجنبي الذي ذكرناه. وترجمة) (space, Espace) بالفضاء في حال والمكان في حال أخرى . [1]

وهذا المفهوم لمصطلحيه الاثنين"الحيز"... و"الفضاء" (وهو المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين: (جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر) بحيث لا نعتقد أننّا نصادفه في الكتابات العربية التي كتبت منذ ثلاثين عاما، ولقد جاء استعماله نتيجة لآلاف المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة العربية عن طريق الترجمة من اللغات الغربية. [2]

أما مصطلح المكان عند "**سيزا قاسم**" التي خصّصت في كتابها – بناء الرواية – فصلا تناولت فيه المكان وأهميته عند نجيب محفوظ (البناء المكاني وأساليب تجسيد المكان في النص الروائي ودلالته)، هي تقول " إننّا التزمنا في هذا البحث استخدام كلمة المكان اتّساقا مع لغة النقد العربي"، بعدها قدّمت توضيحا اعتبرت المكان فيه الخلفية التي تتحقّق من خلال الأشياء. [3]

ومما سبق نرى ميول النقاد الباحثين في استعمالهم للمصطلحات الثلاثة (الحيّز، المكان، الفضاء)، وكذلك هنا ندرك علاقة الجزء من الكلّ باعتبار أنها مصطلحات مترادفة، ويبقى التباين في كيفية الاستعمال اختيارية لكل باحث.

المطلب الثالث: المكان في النّقد العربي الحديث والمعاصر:

لقد أخذ المكان حيّزا كبيرا في الدراسات النقدية الحديثة خاصة بعد ظهور كتاب **"جماليات المكان " لـ "غاستون باشلال"** (**Gaston Bachelard**) باعتباره العتبة الأولى التي رسمت الطريق لدراسة المكان في النصوص الأدبية.

---

(1) المرجع نفسه، ص: 121.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص: 122 .

(3) مريم دهيمي: «**هندسة الفضاء في رواية الأمير لوسيني الأعرج**»، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص أدب جزائري، س ج 2016-2017، ص: 06.

ولعل أول تعريف واجهه النقاد هو تعريف"**غاستون باشلال**" (**Gaston Bachelard**) الذي يرى أن المكان هو "ما عيش فيه لا بشكل وضعي بل بكلّ ما للخيال من تحيّز، وهو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم "[1] وفي تعريف آخر يقول : "إن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب؛ فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعيّ فقط، بل بكلّ ما في الخيال من تميّز، إنّنا ننجذب نحوه لأنه يكثّف الوجود في حدود تتّسم بالجماعة كما في الصّور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والأنثى المتوازية " [2]

فنجد في مقدّمة كتاب"**جماليات المكان**"، أن المكان ارتبط بقضايا جمالية وفنية مطروحة على السّاحة العربية،. [3]

ويثير هذا الكتاب فكرة لدراسة جماليات المكان العربي وما يوضّح ذلك قوله: هناك تجربة ثبتت في الشعر العربي على مدى طويل، وبسبب ثباتها وتشابه معالمها الخارجية اعتبرت مجرّد تقليد شكليّ، أو تكلّس، غير ذي أهمية أو دلالة، وأعني بها البكاء على الأطلال، وقد زاد من تأكيد كونها مجرد تقليد شكلي، هو أن مدرسة شعرية كاملة – أعني مدرسة الشعراء المجان في العصر العباسي- جعلت أحد مطلقاتها الأساسية الهجوم والسخرية من الوقوف أو البكاء، أما أصحاب الفكر التقليدي فقد دافعوا عن القصيدة الطللية من نفس منطلقات المجان والرافضين لها، أي أن الاستنكار والتأييد لهذه التجربة ينطلقان من كونهما تقليدا شكليّا متكلسا بسبب ثبات عناصرها. "[4]

وقد بيّن "**غالب هلسا** " أن النّقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف هنا هي أن البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه، ونسقط على كثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كان يوفرهما لنا البيت، أو هو – البيت القديم- كما يصفه **باشلار**، " يركز

---

(1) غاستون باشلار: مرجع سابق، ص: 179.

(2) المرجع نفسه، ص: 31.

(3) المرجع نفسه، ص: 05.

(4) غاستون باشلار، مرجع سابق، ص: 08.

الوجود داخل حدود تمنح الحماية " إننا نعيش لحظات البيت من خلال الأدراج والصنادق والخزائن، التي يسمّيها باشلار "بيت الأشياء "[1]

بالإضافة إلى ترجمة **"سيزا قاسم" لجزء من كتاب "جماليات المكان" لـ " يوري لوتمان"** وهو **"مشكلة المكان الفني"** فينطلق في تحليله للمكان الفني" **يوري لوتمان** "أن اللغة هي النّظام الأول لتحويل العالم إلى أنساق؛ "لأن اللغة ليست قائمة من التسميات، ولكنّها مجموعة من العلاقات الخاضعة لقواعد وقوانين، بالإضافة إلى أن اللغة قد أبدعت الثقافة البشرية أنظمة وأنساقا أكثر تعقيدا، قد تستخدم بعضها اللغة الطبيعية مادة لها (الأدب الأديان الفلسفة)،وقد تستخدم بعضها مواد أخرى (الصورة في المقام الأول) ولكنّها تستعين بنظام اللغة وطرائق تشكيلها، وقد اهتم لوتمان اهتماما بالغا بالفنون بوصها أنظمة مندمجة .[2]

ينظر لوتمان الى العمل الفني نظرة خاصة: فالعمل الفني مكان محدد المساحة (اللوحة الفنية، أو التمثال، أو القصيد، أو الرواية)، وأنّ " المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة) ، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الاتصال، المسافة)"، "وإنّ لغة العلاقات المكانية وسيلة من الوسائل الرئيسة لوصف الواقع، وينطبق هذا حتّى على مستوى ما بعد النص أي على مستوى النمذجة الأديولوجية الصرف.[3]

نستخلص مما سبق أهمية جمالية المكان في الدراسات النقدية ومدى مساهمة النقاد المعاصرون في عملية التنظير لجماليات المكان واهتمامهم الكبير بالمصطلح، وكان الانتشار الأوسع لهذا الفهم المتطور للمكان وجمالياته في النقد الأدبي العربي الحديث إثر تعريب كتاب جماليات المكان " لـ "غاستون باشلال" (Gaston Bachelard) ، مما نتج عنه اتساع دائرة التعريب في الدراسات النقدية المعاصرة وذلك بفضل المترجمين والنقاد، بالإضافة إلى الجهود

---

(1) المرجع نفسه، ص: 09.

(2) يوري لوتمان، وآخرون: مرجع سابق، ص: 64.

(3) يوري لوتمان، وآخرون، مرجع سابق، ص: 09.

النقدية العربية في تأصيل جماليات المكان، بالعودة إلى التراث وكانوا من الذين نقدوا الحداثة أي عدم القطيعة مع التراث، فأصبح المكان يشكّل بعدًا جماليًّا.

à

المبحث الثاني: جماليات المكان من خلال التقاطبات الضدية والأبعاد

في ديوان وحي الضمير في واحة زقرير

المطلب الأول: ثنائية الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحية

المطب الثاني: ثنائية الأماكن المرتفعة والمنخفضة

المطلب الثالث : ثنائية البادية و الحضر

المطلب الرابع: التوظيف المكاني بين الأبعاد والدلالات

المطلب الأول: الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة:

شغلت الأمكنة حيّزا كبيرا في ديوان وحي الضمير بصور ودلالات مختلفة، فقد أخذت الأمكنة باختلاف معالمها حصّة الأسد في جلّ قصائده لما رسمته من معانٍ صادقة، مستمدة من حياة وواقع الشاعر لأنها تركت أثرا كبيرا في مشاعره وأحاسيسه، فتعددت وتنوعت الأمكنة فمنها الأماكن المغلقة فمنها اماكن اعتيادية تحمل صفة الألفة يمكن العيش فيها (اختيارية) كالبيت مثلا، وأماكن أخرى تقف أمام حرية الإنسان كالسّجون والمستشفيات وهي أماكن جبرية، ومن جهة أخرى تقابلها الأماكن المفتوحة التي تكون أكثر اتساعا، والتّي تجسدت في ديوان وحي الضمير في الأماكن الطبيعة على العموم.

أ- الأماكن المغلقة

يمكننا أن نميّز هذه الأمكنة كونها إيجابية من خلال الشعور بالألفة والراحة والطمأنينة من جهة، ومن جهة أخرى لما تحمله من جوانب سلبية؛ كالشّعور بالوحدة والخوف والظلمة، ومن بين الأماكن المغلقة في الديوان نجد:

✓ **(المسجد)**:

يعتبر المسجد من بين الأماكن المغلقة التي تمتاز بمساحتها وشكلها الهندسي المميز، فهو مكان يذكر فيه اسم الله؛ فهو منبر العبادة والتقرب إلى الله عزّ وجل، وهو دار السجود، وهو من الأماكن الاختيارية التي ترصد العلاقة بين الإنسان وخالقه، فالمسجد أحد أعمدة المشروع الثلاثي (المدارس، المساجد، المعاهد)، التي سعى رجال القرارة إلى الحفاظ عليهم باعتبارهم العتبة الأولى في تربية شباب ناشئ ذو مبادئ دينية، فجاء في قول الشاعر في قصيدة "**عرس الاصلاح والكرم**":

إنْ تَجْهَلُوهُ سَلُوا المَدَارسَ والمَسَاجِدَ،*إنَّهَا لِلدِيـــــنِ مِنْ عَزَمَاتِـــــــهِ**[1]

(1) محمد صالح ناصر: «**من وحي الضمير في واحة زقْرير**»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية،

ففي هذا البيت جاء المسجد دليل على أعمال المرحوم "الحاج مسعود بن عمر بن بكير"، فالشاعر يخاطب من يجهل هذه الشخصية العظيمة فيقول إن لم تعرفوه فاسألوا كل شبر من المساجد والمدارس لأنها تشهد على أعماله الخيرية، وبالتالي فالمسجد جاء شاهدا لمكانة المرحوم" الحاج مسعود بن عمر بن بكير"، وأعماله ومن خلال مساعيه لإعلاء وتثبيت العلم والتمجيد به وخاصة الحلقات الدينية والعلمية التوعوية التي كان يقيمها في المساجد.

- **المسجد المعمور** : فيقول الشاعر من نفس القصيدة السابقة باعتبار أن المسجد المعمور كان شاهدا لما قدمه المرحوم "الحاج مسعود بن عمر بن بكير"

والمَسْجُدُ المعْمُورُ يرفع ذكرَهُ * والعِلْمُ بِالتَمجيدِ في حلقاتِهِ** [1]

والمسجد المعمور يعتبر من أهم مساجد مدينة القرارة وأقدمها، وهو مسجد كباقي مساجد ميزاب يمتاز بالبساطة، يبتعد عن كل مايشغل المصلي عن الخضوع في عبادته، وهو خال من الزخرفة؛ وذلك التزاما بتعاليم الدّين الإسلامي، و ما يلفت انتباهك المأذنة التي تعتبر رمزا من رموز الشموخ، وهي نتاج إبداعات المهندس الميزابي لتميّزها العمراني، فالمسجد المعمور كان ولا يزال مكانا للعبادة وللتعليم، من خلال الجلسات التي تقام فيه هدفها توعوي ديني تعليمي.

✓ **(المدارس)**:

وهي مؤسسة تعليمية تشمل جميع العلوم، وتنقسم المدارس إلى مدارس حكومية ومدارس خاصة، وهي إقامة اختيارية، شأنها شأن المسجد، فهي مقرّ تعليميّ توعويّ، وجاءت في مواضع أخرى تقديرا لجهد السّاهرين على تشييد المدارس والمعاهد في قول الشاعر في **قصيدة "عرس آل الخياط"** :

الجزائر، ط1، 2016م، ص: 42

(1)المرجع نفسه، ص: 42.

قُـم سَائِلِ الفُقَراءَ عــنْ إحسَانِهِمْ * تجدِ المكَــارِمَ للسُؤَالِ دَلِيـــــلاَ**

فَمَعـاهدُ، ومَدَارسُ، ومَســاجــدُ * وجـدتْ نوالاً منهمُ مبْـــذُولاً**[1]

وفي بيت آخر وردت لفظة المدرسة في قصيدة **"تدشين مدرسة الاصلاح"**

وقَهَــرْتِ جَهْلكِ بعدمَا فُتِحَتْ لَنَا * للعِلْـــــمِ مَدْرَسَةُ بِدُونِ كِــرَاءِ** [2]

جاءت لفظة المدرسة في هذا البيت بكل ما تحمله من معنى للجهود التي سعى لإرساءها رجال الإصلاح وذلك من خلال تشييدهم لهذا النبراس، وهو تدشين المدرسة الإحيائية في" **تقرت"** والتي كانت العتبة التي أنارت طريق ودرب كلّ جاهل، والتي أسهمت في القضاء على الأمية.

✓**(مدرسة الحياة)**: وهي مؤسسة تربوية، قرآنية، حُرّة تتواجد بالقرارة، غرداية – الجزائر، تأسّست سنة 1931م، وردت في العديد من قصائد الديوان نذكر منها :

"قصيدة الجيل الجديد!....." (تدشين مدرسة الحياة)

وَاسْمَعْتُــهُ فِي الحَيَــاةِ نَشِيدِي * وَعَلَّقْتُــهُ فَــوْقَ صَدْرِي وِسَــامْ**[3]

فالحياة هي المكان الذي أذاع الشاعر نشيده فيها والذي طرب له " الشيخ عبد الرحمن بكلي " والذي كرم فيه الشاعر، ونال فيه الوسام الشرفي لكلّ قصائده وأناشيده، فمدرسة الحياة أعطت حياة جديدة في روح الشاعر.

ويبدع الشاعر في ذكر "المدرسة" المرتبطة بأيقونة من أيقونات مدرسة الحياة، في قصيدة "**إلى شيخي بسيس قاسم بن الحاج سعيد**" ، فيقول:

كَمْ رَنَّ صَوْتُكَ فِي الرِّوَاقِ تُدِيرُ (مَدْ * رَسَــــةَ الحَيَاةِ) إلَى نَعِيـــمٍ زَاهِرِ** [1]

(1) محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص: 47.

(2) المرجع نفسه، ص: 56.

(3) المرجع نفسه، ص: 156.

فالشاعر يخاطب "الشيخ بسيس قاسم بن الحاج سعيد " الذي كان له الفضل في توجيهه كغيره من شبّاب المنطقة إلى المطالعة وسعى باشتراك مجلة "سندباد" المصرية أن تأتي كل أسبوع، فقد كان صوته يعلو في "مدرسة الحياة "حيث أراد ترسيخ حب المطالعة لدى الشباب لأنها كنز لايفنى، فـ "مدرسة الحياة" هاهنا جاءت كشاهد لما قدمه "الشيخ بسيس قاسم بن الحاج سعيد " لخدمة أولاد منطقته.

وفي أنشودة **"يالله خويا ...!"** (بالعربية الدارجة).(نشيد نال الجائزة)

مَا يَبْقَالَكْ–لَلْأُخْرَى سِــوَى أَعْمَالَكْ – مَاشِي جَاهَــكْ وَلاَ مَالَكْ

فَالمَدْرَسَة انْفَقْهَا تَشْهَدْ لَكْ– يَاللهْ خُويَــــا (2)

يبرز الشاعر هنا الأعمال الخيرية التي قام بها مشايخ المنطقة الخاصة بالمشروع الثلاثي (المدرسة، المعهد، المسجد)، والتي ستشهد أعمالهم لهم يوم القيامة.

فجاء في قول الشاعر في قصيدة **"عرس آل أبي بكر"**

فَاسْلُكْ طَرِيقًا فِي الحَيَاةِ حَمِيدةً * لتنال ماقد نال جدُّ أسْبَقُ**(3)

جاء الشّاعر هنا ناصحا لمن أراد أن يسلك الطريق الصحيح فليتجّه إلى "مدرسة الحياة " فهي الطريق الصواب، والتي بدورها تسعى إلى غرس نبل الأخلاق وترسيخ الدين وإنارة طريق العلم والمعرفة، وهذا ما نهجه أجدادنا من قبل، لأنهم سلكوا الطريق المنير فلم ولن يضلوا أبدا.

كما وردت لفظة " مدرسة الحياة " في أبيات أخرى في قصيدة **"ماء الحياة ... المدرسة الجديدة"**

بفــضْل المدارسِ تحـــيا الأُمَمْ * وتـــــــطوي حياة الأسى**

والألَمْ حيـــاةُ الجهالةِ عارٌ وذمٌّ * وبؤسُ الشّعوبِ بها من قدَمْ**

---

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق ص: 77.

(2) المرجع نفسه، ص: 143.

(3) المرجع نفسه، ص: 13.

لتحيا المدارس تحيي الهِمَمْ [1]

وفي نفس الدلالة أيضا يقول الشاعر:

مـــا ارتـوَى ماءُ "الحـيَاةِ" * أرته الحـَـــــيَاةُ طريقَ النَّجَاةِ**

فأنبَتَ للدِّينِ خيْر نـَـــبَاتِ*وَأَعْلى الــرُّؤُوسَ، وأحْيَا المَوات**

لتحيَا المَدارسُ تحيَا " الحياةْ " [2]

نلاحظ مما سبق أنه في جلّ الأبيات السالفة الذكر التي وردت فيها لفظة " مدرسة الحياة" جاءت كونها منهل العلم و فيض من المعارف، وهس الشعاع الذي أنار درب من طرق بابها، فكانت الحياة التّي تزرع القيّم النبيلة وتحارب الأخلاق السقيمة.

- ✓ **(المعاهد)** :
- ✓ **معهد الحياة:** شأنه شأن مدرسة الحياة ففي أنشودة **المدرسة الجديدة !.."** وبمناسبة وضع حجر الأساس لبناء "مدرسة الحياة" وتوسعة **"معهد الحياة" ينشد الشاعر:**

هذه المعَاهِدُ،للنشئ تُوسَّعُ

هذه المعَاهِدُ،للنشئ تُوسَّعُ [3]

إن معهد الحياة من بين أهم الرواسي التي سعى إلى تثبيتها أعمدة مدينة القرارة، والذي جاء تحت مُسمَّى "**المشروع الثلاثي**" (المساجد، المدارس، المعاهد)؛ والتي بدورها تحقق النهوض بالفرد خاصة وتوعيته وتعليمه، وخدمة مصالح المجتمع بصفة عامة.

- ✓**(نادي الحياة):** قصيدة " عرس آل الحاج مسعود"

عرسٌ له في كُلِّ قلْبٍ محفَل * لاَ بالعشيرةِ أو بقلبِ النَّادِي**[4]

---

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 133.

(2) المرجع نفسه، ص: 134.

(3) المرجع نفسه، ص: 132.

(4) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 67.

نادي الحياة هو نادي أدبي يجتمع فيه طلبة معهد الحياة بمدينة القرارة، وهو والإرث الأشمّ الأروع الأنبل الذي ورثه أبناؤنا عن عظماءٍ رحلوا فقط عن عالمنا بأجسادهم.

✓ **(دار العشيرة)**: قصيدة " الراحل العظيم **(الشيخ عبد الله إبراهيم أبوالعلا)"**

العلمُ يشهَدُ والعشيرةُ والمَحَا * فِلُ في بَلائِك نُصْرَةُ الضُّعفَاءِ**[1]

استعمل الشاعر لفظة " العشيرة " باعتبارها شاهدا على أعمال " الشيخ عبد الله إبراهيم أبو العلا " فدار العشيرة هي المجمع الذي يترأسه العديد من المشايخ من أهل العلم والفتوى والمتواجد في كل قصور ميزاب، يعتمد عليه المجتمع الميزابي في حلّ قضايا المدنية لأبناء القصر، ومحاولة إيجاد الحلول لها.

✓ **(المكتبة)** :قصيدة **"عرس الصديق حشحوش محمد بن عمارة"**

أودونكم حانوته فيها الفنـــــــو* ن مخلدا لبدائع اللحظات**[2]

استعمل الشّاعر رمزية " الحانوت " وهو المكان الجامع لمختلف الفنون، والذي يقصد به "المكتبة" كونها متاحةً للجميع من أجل البحث والاطّلاع، فالشيخ "حشحوش محمد بن عمارة " أول من فتح مكتبة لبيع الكتب بالقرارة، فلا يخلو مجلس شبابيّ من نشاطه، فكانت المكتبة – التي احتلت المكانة المرموقة، بين أحضان المثقفين– الأثر الكبير الذي ساهم في نهوض الشّباب القراري.

✓**(المنزل)**:

يعتبر المنزل من الأماكن المغلقة على الخارج ذا طابع هندسي مميز، فالمنازل في وادي ميزاب صنفت من التراث العالمي وذلك لطرازها العمراني الخاص، فالمنزل باعتباره المكان الأول الذي يراه الانسان منذ ولادته، وهو المكان الوحيد الذي يشعرُ بهِ بالراحة النفسية، هذه المنازل

---

(1) المرجع نفسه، ص: 88.

(2) المرجع نفسه، ص: 107.

تشبه القلاع بألوانها الساحرة تتمازج مع لون رمال الصحراء، فقد وردت لفظة " المنزل " في قصيدة " **عرش الورع والتقوى**" في البيت التالي:

لا تبنِ بامرَأَة وتهدِم منزِلًا * وخيرُ الزّواج الكتُب والأسفارْ** (1)

✓**الكوزينة (المطبخ)** :

هو فضاء صغير مفتوح على أحد جوانب وسط المنزل، و لا تكون له غرفة مخصصة عادة، ويتكون من موقد حجري متّصل بفتحة تهوية إلى السطح، وتعلوه رفوف وأوتاد التي تستعمل لوضع لوازم وأواني الطبخ فنجد البيت الرابع من أنشودة " **تجارتنا في التل (بالعربية الدارجة والميزابية)**"، وهو المكان الأول الذي يبدأ فيه الفتى العمل لأول مرة؛ عندما يرسله أهله للعمل في التل يبدأ أولا بالعمل في المطبخ لخدمة زملائه العمال قبل الانتقال للبيع في الدكان أي التجارة، وهذا العمل مقدّر بسبع سنين وهذا ما بيّنه الشاعر في قوله:

سبْعَ سْنِينْ فَالكُوزِينَة * لا صَنْعَة يْجِيبْ ولاْ مَهْنَه** (2)

فالكوزينة كانت بمثابة تقطة الانطلاق لكلّ شاب ميزابي أراد امتهان حرفة التجارة، فتعتبر هذه المرحلة نقطة قوة؛ لأنها تعلّم كل فرد في المجتمع الميزابي الاعتماد على النّفس وعدم التواكل على الغير، بتعلّمه حرفة تساعده في حياته، كما أن العمل ليس ربح ماديّ فحسب، وإنما هو ذو قيمة وأهمية كبيرة في بناء شخصية الفرد.

✓**الحانوت: (المتجر)**:

فالحانوت مكان للبيع يمتاز بمساحته المحدودة وأحيانا الضيقة، يتخذه المجتمع الميزابي وسيلة للعيش خاصة أنهم من رواد التجارة في المنطقة وفي الجزائر ككل، فتنتشر محلاتهم التجارية في كافة ولايات الوطن، تتشابه تجارتهم وتتعدد في نفس الوقت، ومن بين التجار نجد صبية

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 35.

(2) المرجع نفسه، ص: 149.

صغار يتعلمون أسلوب تجارة الأجداد، جميعهم في حركة دؤوبة لتلبية طلبات الزبائن، يعرضون عليهم ما لديهم من أنواع السلع مع شروحات عن الخصائص والميزات لكل نوع لتمكين الزبون من اختيار الأفضل.

فيقول الشاعر ناصحا الشباب الذين يرسلونهم أهاليهم إلى العمل في التلّ بأن من إتمنك على محلّه يجب الحفاظ عليه والحرص على ممتلكاته، ففي البيت العاشر من نفس القصيدة يقول الشاعر :

حانُوتْ النَّاسْ مَابِينْ يَدِّيكْ * أَمَانَة عظِيمَة حَلْ عَيْنِيكْ** [1]

وفي بيت أخر:

حَـــانُوتُو يقَابَلْها ابْنِظَام * والمُحْسِن مَا يْرُوحُولُوا قْرَامْ** [2]

ومن هنا يتبيّن لنا أن شعار المجتمع الميزابي المحافظ "الصدق والأمانة أساس التجارة"

✓ (**الحرم الشريف**): أنشودة بعنوان" **تحية الحجيج**"

من منزل الوحي أَتى ومهبط الآيات[3]

المسجد الحرام هو أعظم مسجد في الإسلام، يقع في قلب مدينة مكة غرب المملكة العربية السعودية، تتوسطه الكعبة المشرفة التي هي أول بيت وضع للناس على وجه الأرض ليعبدوا الله فيه تبعاً للعقيدة الإسلامية، وهذه هي أعظم وأقدس بقعة على وجه الأرض عند المسلمين، والمسجد الحرام هو قبلة المسلمين في صلاتهم، وإليه يحجون، سمّي بالمسجد الحرام لحرمة القتال فيه منذ دخول النبي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إلى مكة المكرمة منتصراً.

وفي بيت آخر ومع التنوع المكاني من نفس الأنشودة نجده يذكر مكانا من أهم الأمكنة، وهو من أعظم شعائر الحج حيث بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الحج عرفة وهو الركن

---

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص 150.

(2) المرجه نفسه، ص: 151.

(3) المرجع نفسه، ص: 145.

الأعظم، فمن فاته الوقوف بعرفة فاته الحج؛ فمن أدرك عرفة بليل فقد أدرك الحج، فدلّ ذلك على أنّ منْ لم يدرك عرفة فقد فاته الحج. ولذلك فالشاعر محمد صالح ناصر يؤكد على ضرورة وأهمية عرفات قائلا:

وفي عرفات .. عرفات * وبالجمرات .. جمرات**[1]

✓**(القبـــــر)**:

يشكل القبر نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل، وهو من أماكن الإقامة الإجبارية، وهو مكان لنهاية كل إنسان عند مماته، وهو لا يقتصر على شخص دون آخر فهو يعمّ جميع الناس – الصغير والكبير الرجال والنساء، الفقير والغني – ويمتاز بمساحة محدودة شديد العتمة والانغلاق وهو فضاء فاصل عن العالم الخارجي. فيقول الشاعر في قصيدة "**النجم الذي هوى...!**"

كـــــلُّ الرزايا ضُمِّدت بدَوائها * والموتُ ليس له ضمادٌ حامِي**

هذا رسولُ الفنِّ يـــــأكُلُه الثَّرى * يأويه قبرٌ من حصَى ورَغَامِ**[2]

وفي بيتين آخرين من نفس القصيدة يقول:

رَوَّيتُ قبرَك ما بعينِي أدمُعًا * وارْبَدَّ ماءُ الوجهِ والأجسامِ**[3]

ياربِّ وارحمْ قبرَه بهواطلٍ * تَحنُو عَليْه بنعمةٍ وسلامِ**[4]

فمن خلال هذه الأبيات يأتي القبر بمثابة القبر العادي الذي يدفن فيه جميع المسلمين، ومنه القبر الذي دفن فيه المرحوم " الشيخ بالحاج مصطفى بن محمد بن بكير " الذي حضرته المنية فجأة.

---

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 145.

(2) المرجع نفسه، ص: 21.

(3) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 22.

(4) المرجع نفسه، ص: 23.

ولكنْ في موضع آخر جاء القبر رمزا ليجسّد من خلاله تفشّي الجهل وانتشاره في قول الشاعر في قصيدة **"تدشين مدرسة الاصلاح"**:

أنْقَذْتُم بلدًا طوَاهُ الجَهْلُ فِي ** قَبْرِ الشَّقَاوَةِ مُظْلِم الأرْجَاءِ** (1)

بعد تدشين مدرسة الحياة "بتقرت " التي ساهمت في القضاء على الجهل، فبالعلم تُستنْهض الهمم وتُقوّى العزائم، فقد سخّرت طاقاتها في سبيله، فأصبحت تعيش في ظلال العلم الوارفة، وتتقلّب في رياضه الغنّاء.

✓ **(الحـــــــانة):**

وهو من الأمكنة المغلقة الاختيارية، مخصّصة لبيع وشرب المشروبات الكحولية، وهي أكثر انتشارا في الدول الغربية، وهي قليلة إلى منعدمة الوجود في غالبيّة الدول العربية والإسلامية، لأن الإسلام حرمها.

فيقول الشاعر:

فإذا شيدَ مسجدٌ شِدْتِ حانه * وإذا شِيد معهدٌ شدْتِ خانه** (2)

فهنا تظهر ثنائية ضدية بين المسجد والحانة، أراد الشاعر أنْ يبيّن أنه كلما شيّد مسجد للتوعية والحفاظ على الدين، قامت فرنسا بتشييد حانة، وهو مكان منبوذ في مجتمعنا ويتنافى مع عادتنا وتقاليدنا، وهذا دليل على مدى وقاحة المستعمر وسعيه في طمس الدين ونشر الرذيلة، فهنا نجد صراعاً بين الخير والشر.

✓ **(القصـــــــر) :**

هو مقرّ يتعلق بالأماكن الملكية والرئاسية الفاخرة، كما يطلق القصر على المباني الفخمة والمزخرفة كقصر ميزاب بالقرارة.

---

(1)المرجع نفسه ، ص: 55.

(2)المرجع نفسه ، ص: 98

فيمتدح الشاعر قائلا:

أتَت (القصور) ترَى وقائعَ نفرِهِ * إذْ يلتَقي الأسْدان بالأظْفَارْ** [1]

✓ (**الديار السبع**): (قصور وادي ميزاب) من قصيدة "**يوم الانتصار**"

كتَبَتْ لك الأبناء أسْمَى مفخَر * بيْن الدّيارِ السّبْع بالإكبَارْ** [2]

حافظ المزابيون على الثقافة المعمارية المتوارثة من أجدادهم من خلال البناء المعماري المتميز عبر الحضارات، فمن أبرزها القصور السبعة، وكما سمّاها الشاعر " الديار السبعة "، بالإضافة إلى أنها قصور تاريخية عتيقة، والتي بقيت على شكل آثار ترسم حضارة هذا المجتمع المحافظ، تميزت بهندستها المعمارية فريدة من نوعها، أثارت إعجاب كلّ المهندسين من مختلف أنحاء العالم، كما تعتبر قطبا سيّاحيّا يجذب زائريها.

✓ **الأوكار** (**الوكر**): قصيدة "حصار القرارة"

عودُو إلى أوكَاركُم أو تُنْدبُوا * القطّ يفتِك دائمًا بالفَارِ** [3]

استعمل الشاعر مصطلح "الأوكار" للدلالة على المستعمر الذي يبرّر احتلاله لدولة ما، فالشاعر يخاطب المستعمر بالرجوع إلى بلدانهم ليختبئوا فيها، وإنهاء حكمهم المؤقت على مدينة القرارة، ليبين حجم سيطرة المستعمر الذي يسلط جبروته على الدول المستعمرة، حيث شبّههم بالقط الذي يفتك ويغدر بالفأر، فصور الموقف أحسن تصوير مما أبرزت جمالية للمكان من خلال انتقائه مصطلح "الوكر".

✓ (**العرين**) :أنشودة "**الوطن الحبيب**"

أنهض يا شباب لنحمى العرين [1]

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 53.

(2) المرجع نفسه، ص: 54.

(3) المرجع نفسه، ص: 94.

فالشّاعر في هذا البيت أراد إنهاض الهمم من خلال مخاطبة الشباب لحماية وطنهم الحبيب فقد اختار مصطلح "العرين" وهو مأوى الأسد، لإبراز مكانة هذا الوطن، لأنه وطن سيرهب العدوّ ويستحيل النيل منه مادام فيه شباب يحمون العرين، وذلك بتمسكهم بالدين والعلم.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن أغلبية الأماكن المغلقة جاءت بدافع إصلاحي غرضها التوعية والتعليم ومحاربة الجهل، والوقوف في وجه المستعمر الذي يسعى إلى طمس الهوية الإسلامية العربية.

أ- الأماكن المفتوحة:

إن الأماكن التي ألفها الانسان لا يمكن أن تكون مغلقة بصفة دائمة بل يلجأ إلى أماكن أخرى تتصف بالحرية نوعا ما، ومن بين الأماكن المفتوحة في الديوان نجد:

- ✓ (**الطبيعة**) : جاء في قول الشاعر : **في قصيدة " عرس آل الحاج مسعود "**

مَالِلْطَّبِيعَةِ أَسْفَرَتْ وَتَبَرَّجَتْ * كَعَرُوسَةٍ تَرْجُو المُنَى بِوَسَاد ؟** (2)

يتساءل الشّاعر عن " الطبيعة" التي تشمل كلّ شيء، وماسبب أنها كشفت وتبرجت؟ حيث شبّهها بالمرأة العروس التي تكتسي أحلى حلّة ليوم زفافها، فهنا الطبيعة بفيافيها ووهادها محتفلة بعرس" آل الحاج مسعود".

- ✓ (**الأرض العرا**) : جاء في قول الشاعر في قصيدة " **حصار القـــرارة "**

أتَوَسَّدُ الأحْجَارَ في الأَرْضِ العَرَا ***وعدُّونا يَحْتَلُّ قلبَ الدَارِ (3)

وظّف الشّاعر لفظة "الأرض العَرَا" وهي الأرض المسطحة المصحرة، ليعبّر عن قهره من الأعمال الشنيعة التي يقوم بها المستعمر.

---

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 126 .

(2) المرجع نفسه، ص: 67.

(3) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 92.

✓(**القَفْر**) : جاء في قصيدة " **رثاء عنيزة** "

وكنتِ وحيدةً في القَفْر حاشَا * وعَيْنُ اللهِ ترْعَى كُلّ فَانِي** [1]

يرثي الشاعر عنيزته التي كان يتغذى من حليبها، والتي كانت ترعى في القفْر بعيدة عنه، وكان توظيف كلمة القفر دلالة على طول المسافة، فالقفْر أرض واسعة ممتدة لا يُرى طرفها، والمسافة الطويلة كانت سبباً في عدم إنقاذه لعنيزته في الوقت المناسب، يخاطب الشاعر "عنيزة" عند اشتداد المرض فيقول لها كنت وحيدة في "القفر"، معبّراً عن حزنه العميق لفقدان "عنيزة".

✓**الواحة (واحة زقرير)**:

يواصل الشّاعر إبداعه في اختيار الأمكنة، التّي تكسب قصائده دلالة أعمق وأوضح، فقد كان أحد عناصر عنوان الديوان واحة زقرير، ونستطيع القول بأنها محور الديوان كلّه، فهي واحة في قلب الصحراء، أرضها خصبة، تعلو فيها النخيل، تتسم بالحيوية وهي رمز الحياة، والصّمود والصّبر والثّبات، تُلْهم زائرها بالهدوء والطمأنينة، والنخلة بطبعها وعطائها، فالواحة أضفت دلالات رمزية لطبيعة المكان لما تمتازه من مناظر خلاّبة، فطبيعتها الساحرة كان لها أثر كبير في نفسية الشاعر، فالشاعر لا يوظف مكاناً إلا وله علاقة به، فنسج من خلاله أبيات تبيّن تفاعله وتأثره بطبيعة الواحة القرارية الجميلة فيقول الشاعر في أنشودة " بين النخيل" : [2]

بينَ النَّخِيلْ، فوْقَ الخَمِيلْ، والوردُ يمِيلْ، معَ النَّسِيمِ العَلِيلْ

حيثُ الطَّبيعَة، زاهِيَهْ بَدِيعَةْ

فالورد يبْسِمْ، يبْسِمْ، والطَّير رَنِّمْ رَنِّمْ

والماءُ يهْدِى الخَرِيرْ، بيْنَ النَّخِيلْ

ونجد الواحة في مواضع أخرى عندما كان الشاعر يختلي بكتبه في واحة النّخيل فيقول في قصيدة " بِنْتُ الدَّلاَلِ": [3]

إليكِ إليكِ يا بِنْتَ الـدَّلالِ * أَخَذْتِ القلْبَ إذْ حيَّرتِ بَـــالِي**

(1) المرجع نفسه، ص: 50.

(2)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص : 136.

(3) المرجع نفسه، ص: 37.

فحُسْنُكِ ليْسَ لِي فِيهِ انتقادُ * وَأنَّى ذَاكَ، أَوْ يَسْلُوكِ سَـــالِي**
أشمسُكِ وهي ترمُقُنَا بـــــــوجهٍ * أجَلُّ مِنَ الخُدودِ بحُسْنِ خالِ**
أمْ أرضُكِ في افْتِـنَانِ واخْتِلاَبِ * بِـوَشْيٍ أو بِعُرؤيٍّ فِي الجِبالِ**

استعمل الشاعر رمزية المرأة ووصف الواحة بـــ" بنت الدلال " وكأنها البنت المدلّلة التي تحضى بمكانة مميزة، فعبّر عن حبه وتأثره بطبيعة الواحة القرارية، فحسنها وجمالها يصعب انتقاده، لأنها أسَرت قلب الشاعر بهذا التميز، مما جعلها مختلف عن باقي المناطق.

ومن خلال تطرّقنا لهذا المكان، والذّي يعتبر واسطة العقد في الديوان، انطلاقا من أن واحة زقرير هي نفسها عنوان الديوان، قد تماشى مع الدلالة للقصيدة والديوان.

✓ **(الصحراء):**

استطاع الشاعر أن يبرز الصحراء في مختلف قصائده باعتبارها المكان الواسع الذي يمتاز بالغموض، وبالوضوح المتمثل في عاداتنا وتقاليدنا وتاريخنا وانتمائنا، فالقرارة بطابعها العمراني الجمالي تزيّنت بكأس بطولة كرة القدم، وأصبحت مفخرة الصحراء فيقول الشاعر:

وغَدَوْتِ في الصَّحْراءِ أسْمَى بَلْدَةٍ * ومَنَحْتِ كَأْسَ بُطُولَةٍ وفَخَارِ [1]**

من خلال شعر محمد صالح ناصر يتبين لنا أنّ الصحراء ليست فقط مجموعة من التضاريس والرمال الممتدة، بل هي مكان معاش ووجود إنسانيّ مندمج معها، وكانت مصدر إلهام الشّاعر، فهو يذكرها ليؤكد أنها مازالت تحيا لتروي حقيقة الاستعمار الذي أراد أن يفصل الصحراء عن الشمال بحيله الفاشلة، وإبراز الدور الكبير الذي وسمه أهل الصحراء في تاريخ الجزائر، وقد ركّز مرة أخرى على البيئة المكانية التي يعيش فيها عندما ذكرها فيقول: في قصيدة "يا "أفلح" العصر"

فقلتَ: صحراؤنا في البحر ضاربةٌ* جذورها بأصيل العهدِ والحقبِ**
لن ترضى بدلا غيرَ التّـــــحرر في* عـــزٍّ بلا صلة كلاًّ ولا نسبِ [1]**

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 54.

وصحراؤنا تدل أيضا – من حيث المكان– على الشّجاعة، مردفا لها بنون الجماعة للدلالة على انتمائها في وجدان الشعب الجزائري.

✓ (**الحيُّ**): قصيدة "**نور الكهرباء**"

وسمعتُ الهُتَافَ فِي كُلِّ حَيٍّ* مِنْ شَبَابٍ، وصِبيَةٍ وكِعَابِ** [2]

يعتبر الحيّ من أهم الأمكنة التي تعبر عن الحرية والحياة، وهو من الأماكن العامة التي تتناقل فيها الشخصيات وتكون مجاورة البيوت، فبعد الإعلان عن وقف إطلاق النار كان الحيّ المكان المفتوح الذي تجمع فيه جلّ الناس باختلاف أعمارهم من أجل التعبير عن فرحتهم.

✓ (**الطريق**):

فالطّريق مكان أساسيّ في كلّ المدن والقرى وهو من الأمكنة المفتوحة والعامة، تضمّ كلّ أفراد المجتمع وتمنحهم حريّة التنقل لا حدود ثابتة فيها، وهي أماكن الانتقال والحركة، ففي الديوان تظهر جمالية الطّريق من خلال تجسيدها معنى المعاناة والحواجز والصعوبات التي وقفت في وجه " الشيخ بالحاج مصطفى بن محمد بن بكير" فكان طريقا صعبا جدا، فجاءت لفظة "الطريق " أغلبها تصب في قالب يرمز للعلم والهداية لمن أراد أن يطلب العلم فعليه بطريق الشيخ بالحاج مصطفى، فنجد الشاعر في قصيدة " **النجم الذي هوى** ...!" يقول:

عَانَيْتُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ عَوَارِضًا * وَضَرَبْتُ عَرْضًا لَوْمَةَ اللَّوَامِ** [3]

فقد كافح واستطاع الخلاص من كل الصعوبات، رغم عاهته البصرية التي لم تقف حاجزا في طريقه وكافح من أجل الوصول إلى مراده.

وجاء في قصيدة " **من وحي العزوبة**"

---

(1) المرجع نفسه، ص: 116.

(2) المرجع نفسه، ص: 62 .

(3)محمد صالح ناصر، مرجع سابق ، ص: 22.

سَمِعَ الالَهُ لِمَا دَعَا وَشَكَا بِهِ * حَمْدًا لِمَنْ يَهْدِي الطَّرِيقَ لِبَابِهِ** [1]

أما في قصيدة " **عرس آل مردوخ** " **يقول الشاعر:**

ارْسُمْ طَرِيقًا للعلوم وَلاَ تَـــــقُلْ:* بِالمَـــــــــالِ أُدْرِكُ حَظِّيَ المطْلوبَا** [2]

وفي قصيدة "**عرس آل أبي بكر**"

فَـاسْلُك طَرِيقاً فِي الحَيَاةِ حَمِيدةً* لِتَنَالَ مَا قَدْ نَـــــــالَ جَـدُّ أَسْبَقُ**[3]

وفي قصيدة "**عرش الورع والتّقوى**"

هَاتِ التَّدَيُّنَ يَا أَخِي وانْقِذْ بـــــه* تُعَسَاءُ قَدْ ضَلُوا الطَّرِيقَ وَ جَارُوا**[4]

نستطيع الولوج إلى قلب قصائد الديوان عبر الأمكنة باستيضاح دلالتها المتعلقة في ذاكرة الشاعر والمتلقّي، وكان نبع الاستحضار مرتبطا بموضوع القصائد، فقد استعمل الشاعر لفظة "الطريق" رمزا للعلم والهداية في قصيدة **من وحي العزوبة**، كما ذكرها في مواضع أخرى مثل قصيدة **عرس آل مردوخ** و**عرس آل أبي بكر** ليبيّن لنا أهمية طريق العلم، رغم ما فيه من مصاعب وعوائق، إلا أنه يجب التحلي بالأدب والصبر والعزيمة للوصول إلى الهدف المنشود.

وفي أبيات المدح والفخر بالعلماء بيّن الشاعر أهمية العلوم الدينية التي أخذها عن شيخه بسيس قاسم بن الحاج موظفا لفظة طريق في قصيدة "**إلى شيخي بسيس قاسم بن الحاج**" **فيقول الشاعر:**

كَـــمْ قَدْ أَنَرْتَ عُقُولَنَا لِنَرَى طَـــرِ* يقَ الدِّيـــنِ تَنْشُـــرْهُ بِعَقْلٍ نَائِـــرِ**[5]

(1) المرجع نفسه، ص: 29.

(2) المرجع نفسه، ص: 18.

(3) المرجع نفسه، ص: 13.

(4) المرجع نفسه، ص: 35.

(5) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 77.

من خلال ما سبق نرى أن تعدد الأمكنة المفتوحة في "ديوان وحي الضمير " مكنّها من احتلال مكانة هامة لدى الشاعر، فتراوحت بين أماكن الانتقال العامة والخاصة فمثلت الصحراء المكان اللامتناهي والواحة الطبيعة المميزة في منطقة القرارة مما أبرزت جمالية للمكان، التي ضمت في ثناياها الواحة والصحراء والغابات والرياض والجنان والطرقات والأحياء، ففيها وجد الشاعر ملاذه، فقد عبر عن حزنه وفرحه وارتياحه وانتمائه من خلال هذه الأمكنة التي أعطت منظرا تشكيليّا هامّا أبدع الخالق في تصويره.

المطلب الثاني: الأماكن المرتفعة والمنخفضة.

أ- الأماكن المرتفعة:

إنّ التضاد بين الثنائيتين – الارتفاع والانخفاض - يشكّلان رابطا وثيقا بين الأمكنة، ونجدهما في مواضعَ عديدة في الديوان وبدلالات متنوعة، وتجسّدت هاتين الثنائيتين فيما يلي:

- ✓ **(الجبل):**

وهو مكان جغرافي مرتفع على سطح الأرض، فالجبل يرمز للهيبة والعظمة و يمتاز بالعلو، والشموخ، بالإضافة إلى عوالمه التاريخية، يدركها من يعتليه ومن تموطن فيه، فهو الوحيد القادر على اكتشاف أسراره، فكان مجأ الفار من المستعمر.

- ✓ **(جبال الأوراس):**

أفرد الشاعر "جبال الأوراس " بحيز مميز في أشعاره، فقد نطقت الأوراس بأول شارة غضب لتعلنها للعالم، بأنّ الجزائريين يريدون أرضهم محرّرة وبلدهم مستقلة، فالأوراس هَامَةٌ شاهدة على أول رصاصة ليلة الفاتح النوفمبري المجيد، وعلى الفور خرس العالم لوقع دوي رصاصة التّواضع، ولكنْ بإصرار الكبرياء في أن تستعاد الجزائر لأبنائها وبسواعدهم.

فنجد الشاعر لا يقدّم صورة شكلية للمكان فحسب، بل أراد أنْ يبيّن أنَّ الأوراس أصالة الوطن ورمز المجد والبطولات، فالأوراس يمثل تضاريس الواقع الثوري، فارتفع صوت الشاعر

محمد ناصر يشيد بملحمة زلزلت فواصلها رصاصة أوراسية لتتبعها رصاصات من كل شبر من الجزائر، فانطلقت رصاصة الرفض من تحت ظلال أشجار كثيفة غطت الملحمة ولتتحول إلى ملهبة لكل من يريد بالجزائر سوءا، فالشّاعر وظف الأوراس ليحيلنا إلى ما يمثله في خيال وعاطفة الشاعر، فالأوراس عنده هو مَعلمٌ للوطنية، ومَعلمٌ لمعنى العزّ في الحياة.

فيقول في قصيدة "**ايه يا (ديقول)..!**":

وانبرى الرشّاشُ فيها للفسَادِ*فوقَ أوراسٍ يُعرِّي الاضْطِهَادْ**

يُشهِدُ الدُّنْيَا أناسًا وجَمادْ[1]

وركّز الشاعر مرة أخرى على البيئة المكانية التي يعيش فيها عندما ذكرها في قصيدة "حصار القراراة"؛ ونجده يضع يده على أهم نقطة في مدينة القرارة وهي: "**الجبال**"، باعتبارها هنا درعاً واقياً، ومصدرا للقوة والرهبة بالنسبة للثوار؛ لأنّه كان المكان الوحيد الآمن في تلك الفترة، والذي لجأ إليه الثوار أثناء فترة الاستعمار بعكس المنطقة المنخفضة المحاصرة وهو حصار سكان القرارة، التي جسد فيها المستعمر انتقامه من الشعب العزل فيقول الشاعر في قصيدة"**حصار القرارة** ":

هُم في الجبالِ مَعَ الجِهَادِ بموعــد * يتربَّصُونَ عَلَـى خُطُـــــوطِ النَّار**

كَرِهُوا حياةَ الذُّلِ فانْطَلَقُـــوا إلى * شُمِّ الجِـــــبَالِ لِسَحْقِ الاسْتِكْبَارِ**

خُنِقُوا بِنَتْنِ الظالمينَ ففضَّلـــــوا * استنشاقَ جوِّ الشُّمِ في الأســـحارِ**

عَشِقُوا المَعَاليَ فَاعْتَلَوْا عَالِي الصــ * خُورِ يواجِـــهُون أَرَاذِل الأشْـــرارِ**[2]

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 119.

(2) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 94.

لقد شاركت "الجبال" في رسم معالم الثورة التحريرية، وهي من أهم مناطق الدعم والإسناد لمجاهدي المنطقة، فقد كان موقع هذه الجبال نقطة استراتيجية بالنسبة للمجاهدين؛ إذ من خلالها يرصدون تحركات القوات الاستعمارية في المنطقة من جميع الاتّجاهات المجاورة.

فمن خلال هذه الأبيات نجد أن كلمة "الجبل" والتي جاءت كذلك بمعنى "المعالي"، باعتباره مكانا مرتفعا أصبح عائقا بالنسبة للاستعمار؛ لأنه يصعب الوصول إليه والبحث عن الثوار فيه، فالمكان العالي كان سندًا طبيعيّا للحماية وملجأً لكلّ ثائر أراد الانتقام من المستعمر واسترجاع هوية وطنه رغم كل الصعوبات، فكانت دوما تجلب أنظار العدو فيقوم بعمليات تمشيط واسعة النطاق للمناطق المجاورة لهذه الجبال وفي كل مرة يتلقى الهزيمة النكراء على يد المجاهدين، مما يؤدي بقواته إلى استنطاق السكان وصب جام غضبها عليهم انتقاما لفشله أمام أشاوش هذه الجبال.

فنجد أنّ الجبل أرسى منزلة عظيمة في نفسية الشاعر، حيث كشفت الروح الوطنية والثورية لديه، والسعي إلى التحرير والتغيير من خلال النّضال والجهاد بالنفس والنفيس، فنجد الجبل حاضرا بدلالاته الطبيعية الجغرافية وكذلك كونه نقطة تجمع الثوار والجدار الذي استندوا عليه.

وكذلك في قوله :

مِنْ دَوِيِّ الرَّصَاصِ وَهُو مُزمْجِـرْ* ومِن المِدْفــَعِ المُزَلْزِل يهْــدِرْ**

وَبِصَوتِ المُجَاهـدينَ يُكَـــــبِّرْ* فِي أَعَالِي الجِبَالِ للظُّلــْمِ يَقْبِرْ**

كلُّهـــا ثـــوْرَةُ مِنْ أَجْلِ الجَزَائِرْ [1]

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 97.

إنّ **الجبل** أصبح ذكرى من ذكريات الجزائر، فكان البطل الثوري الذي استمد منه الثّوار قوتهم وعزيمتهم للوقوف في وجه المستعمر، فكان السّلاح الذي دافع به الثّوار عن قضيتهم الوطنية.

ومن خلال ما سبق نجد أنّ للجبل مكانة كبيرة لدى الثوار بقدر ما عاناه الشعب من حصار القرارة أثناء الثورة التحريرية بقدر صعوبة العيش في الجبال بالنّسبة للثوار بتضاريسه، وصعوبة وخطورة العيش في معاناة الحرّ والبرد بكلّ ما يحمله من قسوة، وما يقابله من ألم وتعذيب وقهر وجوع وانتهاك للأعراض أثناء حصار المدينة.

✓**(السماء)**:

نَجمٌ هَوَى من حَالِقٍ بضِيَائِهِ * فدَهَى سمَاءَ الفنِّ ثَوْبُ ظَلاَمِ**[1]

أخذت هذه اللفظة دلالتين في قصيدة "**النجم الذي هوى** " فالأولى جاءت تعبيرا عن مكانة صديق الشاعر "الشيخ بالحاج مصطفى بن محمد بن بكير " الذي احتضرته المنية فجأة، باعتباره نجمًا ساطعًا لما يمتاز به من مواهب في مجال الفن، وشبهه بالنجم المضيئ الذي يسكن السماء، والذي رحل بمشيئة الله سبحانه وتعالى، أما الدلالة الثانية أنّ السماء لا ترتبط بالشخصية مباشرة، بل جاءت تعبيرا على أن فقدان هذه الشخصية اكتسى الفن ثوب الظلام، باعتباره من ألمع المواهب رغم عاهته البصرية، وبإمكانيات بسيطة استطاع أن يعزف أعذب الألحان.

ووظف لفظة السّماء في البيت التالي من أنشودة "**فرحة الشعب بالزعيم** ":

أَهْـــــلاً وَسَهْلاً أَيُهَا النَسْرُ الأَبِيُّ * انْزِلْ علَى الرَّحْبِ عَزِيزَ المَنْصبِ**

فَيَا زَعِيمًا فِي سَـــــمَاءِ المَغْرِبِ * بُورِكْتَ بَدْرًا فِي السَّمَاءِ الأَرْحَـبِ**[2]

(1) المرجع نفسه، ص: 22.

(2) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 168.

وردت لفظة " السّماء " في البيت الثاني تعبيرا عن المنصب والمكانة التي عيّن لها الزعيم " الشيخ إبراهيم بيوض "، فقد كان أحد زعماء المغرب العربي، فالسّماء الأولى كانت قبل تعيينه مكلّفا بالشؤون الثقافية في الحكومة الانتقالية، والسماء الثانية بعد تعيينه ليصبح القمر بدرًا، فزادت مكانته وعمّت، وكان البشير لشعبه الكريم، الذي ترك بصمةً جماليّةً في الجزائر يضاهي بها مدينة القرارة، ورسَمَ أيقونةَ الاستقامةِ ورمز البقاء؛ لتُدوّن مآثره فخراً وعلماً وجهاداً.

✓ **الهضاب** : جاء في قول الشاعر : في قصيدة " **نور الكهرباء"**

أَمْ هُوَ الفَجرُ سَاطِعاً فِي اللَّيَالِي * يَطْرُدُ اللَّيْلَ مِنْ ثَنَايَا الهِضَابِ؟**[1]

إنّ الهضاب تلك المنطقة الواسعة من المناطق المرتفعة المسطحة، فقد وظّفها الشّاعر ليبيّن مدى أهمية نور الكهرباء، فهو نقطة تحوّل حضاريّ، فهو النور الذي يطرد الظلمة عن مدينة القرارة، فهو شروق مليئ بالأمل والتفاؤل، ينبعث منه يوم جديد وحياة جديدة.

✓ (**النخلة**): أنشودة "الجيل الجديد!... (تدشين مدرسة الحياة)"

ففي أفْقِهِ قدْ فَهِمْتُ الحَيَاةْ * ومِن نخلهِ قَدْ عرفْتُ الثَّبَاتْ** [2]

إن "النخلة" تتوزع على أبعاد دلالية مختلفة؛ فهي رمز العطاء والثبات، وهي سيدة الشجر المعمّر الوارف، وهي استشراف لمستقبل مثمر، عرفت مكانتها منذ القديم لتعدد فوائدها، حيث أفاض الشعراء في وصفها، فجاءت في هذا البيت رمزا للتعبير عن مدى أهمية ومكانة "مدرسة الحياة" وما هي الجهود التي سعت لإرسائها، من أجل إنشاء جيل مثقف يدرك قيّم دينه وعلمه وعاداته وتقاليده، فيقول الشاعر بفضل انشائها تم الوصول إلى مراتب عليا من العلم والمعرفة، فهنا الشاعر ينظُر إلى "مدرسة الحياة " بنظرة التكريم والإجلال، فكان بؤرة الاهتمام الأولى التي كانت وراء توظيف الشاعر لهذه اللفظة " النخلة" تثميناً لما قدمّته مدرسة الحياة، وهذه الاخيرة كان لها امتدادات وجدانية مرسّخة في خُلد الشّاعر.

(1) المرجع نفسه، ص: 63.

(2) المرجع نفسه، ص: 156.

✓(**الدَّوْحَة**) :جاءت الدوحة في قصيدة " تهنئة الزعيم بعيد الفطر"حيث يقول الشّاعر:

وَالحُرِيَاتُ كَدَوْحَةٍ لَنْ تَزْدَهِي * إِلاَّ وَسُقْيَاهَا فِدًى وَدِمَاءُ**[1]

اعتبر الشاعر الحرية كالدوحة في تشعبها وارتفاعها، فحرياتنا لن تزول، فهنا الشاعر يجسّد روح الجهاد، فالشعب الجزائري يفدي وطنه بالروح والدم من أجل تحقيق الحرية.

✓ (**الخَمِيلَ**): أنشودة "بين النخيل"

بَيْنَ النَّخِيلْ، فَوْقَ الخَمِيلَ، وَالوَرْدُ يَمِيلْ، مَعَ النَّسِيمِ العَلِيلْ [2]

بيّنَ الشاعر تفاعله مع طبيعة الواحة القرارية الجميلة التي ألّف تحت ظلالها هذا النشيد، فاستعمل الشاعر "الخَمِيلْ" وهو من الشجر الكثف الملتف، فلو سقط شيئ فوق الخميل لن يسقط.

✓ (**الرُّبَا**) جمع ربوة:من أنشودة " حي على الفلاح (تهنئة الزعيم بعيد الفطر)"

حَيَّ عَلَى الفَلاَحْ، في رُبَى بِلاَدِنَا المؤمنة [3]

الربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض، وقد جاء هذا التوظيف المكاني دلالة على أنّ صوت الحق والدّين يعلو أرجاء بلادنا المؤمنة، وأنّ جميع الأنحاء تدعو إلى الفوز والنجاة، وإلى الإقبال بوجوهنا وسريرتنا إلى الهدى عاجلا والفوز بالجنة آجلاً، والربى هو المكان الذي يدل على الرفعة والمكانة العالية للدّين الإسلامي في نفس كلّ فرد يعلم يقيناً أنه الدين الأوحد الذي ولدنا على فطرته، وبلّغه لنا حبيبنا المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

الجنان (الجنة) : جاء في قول الشاعر في قصيدة " الله أكبر ..! نور الكهرباء بالقرارة "

وَتَفَتَحَتْ أَبْوَابَ عَدْنٍ لِلْتَقِّـــــ * يِّ وَزُيِنَتْ حُورُ الْجِنَانِ لِفِتْيَةِ ؟**[4]

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 110.

(2) المرجع نفسه، ص: 136.

(3) المرجع نفسه، ص: 138.

(4) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 64.

يصف الشاعر يوم فرحة أول أيام رمضان بعد اتبثاق نور الكهرباء في القرارة، فهو شهر تفتح فيه أبواب الجنة للتقوى وزيّنت حور الجنان في الجنة حيث إنّ عدْن هي مكان متواجد في السماء والذي أعده الله لعباده الصالحين بعد الموت والبعث.

وفي بيت آخر من **قصيدة " رب مميش (بالميزابية)** وردت لفظة "الجنة" في قوله:

بَـــــاشْ أَتْـــنَلَدْ ألْجنَّتْ * أتْـــــــــــكُونَدْ لَـــــــخْيَارْ نِدْبَابَا** [1]

بيّن الشاعر أنّه من بين أسباب نيل "الجنة " أن تكون من خيرة الآباء، فرمزية المكان هنا جاءت بمثابة هدف يسعى إليه من أراد الفلاح في الدنيا والآخرة.

✓**(الآفاق) أفق:** جاء في قول الشاعر في أنشودة " **فرحة الشعب بالزعيم** "

فَانْشُرْ عَلَى الآفَاقِ عِلْمَكَ يَازَعِيمْ * وَزَلْزِلْ الكُفْرَ بِرَأْيِكَ الحَكِيمْ**[2]

استعمل الشاعر في هذا البيت لفظة "الآفاق" معتمدا عليها من الناحية المادية الكونية، من أجل تجسيد الأعمال التي قام بها الزعيم "الشيخ بيوض "من "بومراداس" فخاطبه بنشر علمه والوصول به إلى أقصى الأماكن، فعودته كانت بمثابة زرع روح جديدة، وبحكمته، وبحنكته، ورأيه السديد يقضي على الكفر.

✓**(القلعة)** (قلعة الإسلام): أنشودة " **يالله خويا** ...! (بالعربية الدراجة)(نشيد نال الجائزة)"

قَـــــلْعَةُ الإِسْلاَمِ يَاالله عَاوَنَا * نَبْنِيهَا للْـــــجِيلْ تَسْعَدْ أُمَّتْنَا**[3]

وظَّـــف الشّـــاعر مصطلح "**القلعة**" في هذا النشيـد الذي نال إعجاب لجنـــة الأعيان والمشايخ، تعبيرا عن المشروع الثلاثي (المدرسة والمعهد ،المسجد)، باعتبارها الحصن المنيع، فبنـــاؤها للأجيـــال يساهم في ازدهار الأمة الإسلامية، فالقلعة تشيد في موقع يصعب الوصول إليه، وتكون غالبا على قمة جبل.

(1) المرجع نفسه، ص:127.

(2) المرجع نفسه، ص: 169.

(3) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 141.

✓ (**لجْنَان**) الأجنة: أنشودة "**القرارة والعين (بالدارجة)**"

تَنْشَدْ فَالسَّـــــــــــاقْيَه * أَلْـــحَانْ اتْـحَيِّي لَجْـــنَانْ**[1]

فالارتفاع أخذ مواضع ذات دلالة روحيّة نفسيّة معنوية، فجاء بمثابة المكانة والقيمة التي تحتلها واحة النخيل لدى الشاعر، وهو المكان الذي يختلي فيه أثناء كتاباته، حيث وصفها ببنت الدّلال، فكانت تشعره بالطمأنينة والراحة النفيسة فيقول في قصيدة "**بنت الدَّلال**":

إِلَيْـكِ إِلَيْـكِ يَا بنـتَ الدَّلالِ* أَخَذْتِ القَلْبَ إِذْ حيَّـرْتِ بَالي**

فَحُسْنُـــكِ ليسَ لِي فِيهِ انْتِقَادُ* وأنَّى ذَاكَ، أَو يَسْلـُوكِ سَـالِي**

أَشمْسكِ وهي ترمُقُنَا بوجـــهٍ ***أَجَلُّ من الخُدُودِ بِحُسْنِ خَالِ[2]

ففي هذه الأبيات أراد الشاعر التغني بمدى جمال وروعة واحة النّخيل، والراحة التي تعتريه عند اختلائه فيها، واستئناسه بمناظرها الخلابة، فكانت النّديم والصديق المخلص السميح الكريم والمريح، فهنا تظهر العلاقة الروحية بين الشاعر وواحة النخيل.

كذلك نجد أنّ المكان العالي يحمل دلالة القيمة والرفعة والإفتخار في قلب الشاعر فيقول في قصيدة "**الوطن الحبيب**":

يَـــــــا وَطَنِي الرُّوحِي الغَالِـــــي * يَـا بَهْجَـةَ الوَادِي العَـالِي**

فِيـكَ أَفْـنِي، عَلَـــيْـكَ أَدْمَـــي * فَأَنْـــــتَ رُوحِـــــي وآمَـــالِي**

بُشْرَى ! فَقَد وافَى السُّعُـــــــــود* يَزْهُو ويصبُو إِلَى الخُلُـــود**

أَنْتَ المُنَى فِيـــــــكَ صِبَـايَ * يَـــــــا مُهْجَتِي و يَا هَوَايَ** [3]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات حبّ الشاعر لوطنه الحبيب، والمكانة الرفيعة في قلبه ومدى افتخاره به، فله مكانة خاصة في قلبه؛ لأنه منبع أحلامه وآماله وأهله وخلاّنه، فقد

(1) المرجع نفسه، ص: 153.

(2) المرجع نفسه، ص: 37.

(3) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 125.

اختار الشاعر الوطن للدلالة على استمرارية الحب الذي يربطه بنشأته الأولى ولادةً وطفولة وكهولةً وشيخوخةً، ولا يكون الحبّ هكذا إلاَّ عندما يتمكن تمكّنًا شاملاً طوفانيًّا، يستغرق فكر ووجدان الشّاعر.

فمن خلال ما سبق نستنتج أنّ للمكان المرتفع دلالات متنوعة، فقد أسهم المكان المرتفع (الجبل) في إبراز جمالية المكان من خلال تضاريسه من جهة ومن خلال الصورة التفاؤلية للشعب الجزائري، فقد كان التحاق الثوار بالجبال ضرورة حتمية، باعتباره المكان الطبيعي الذي ساند الثوار وكأن الطبيعة تقف وجها لوجه ضد قوى الشر، فقد استطاع أن يصنع تجربة الثورة، بالإضافة إلى أماكن أخرى مثل : النخلة التي كانت ولا تزال رمزا للثبات والوقار فاحتلت في قصائد الشاعرة تارة مكانها الحقيقي بين أحضان الطبيعة وتارة أخرى جاءت تعبير عن "مدرسة الحياة".

أخذ المكان المرتفع دلالات أخرى كالرفعة والمكانة، من خلال الاتصال الروحي والنفسي للشاعر لدى الشاعر وإبراز مدى تأثره وانتمائه للوطن الحبيب.

ب: الأماكن المنخفضة:

لقد ذكرنا سابقا المكان المرتفع و لما يحمله من صور طبيعية وتاريخية ونفسية وفي مواضع أخرى أخذ المكان المرتفع صور حسّية روحية معنوية التي أبرزت انتماء الشاعر وحبه لوطنه، ونجد الأماكن المنخفضة التي تعددت بدورها في الديوان، وأخذت دلالات متعددة فمنها:

✓(**السفح**): حيث يقول الشاعر في قصيدة **"حصار القرارة"**

فالمكان المنخفض "السّفح" وما يقابله المكان المرتفع "الجبل"، يبرز لنا مقارنة على شكل ثنائيات ضدية لارتباطها بالمكان ودوره الفاعل والحيوي بينهما، فحضور المكان يجسد لنا مشهدية الأحداث، فيقول الشاعر:

في السَّفْحِ نَحْفرُ قَبْرَهَا لاَ فِي الجِبَا * لِ فمَوْطِنُ الدِّيدَانِ في الأقْذَارِ**

في السفح نحفر قبـــرها ونـــــسيرُ ** فوقَ مناخِرِ المتَجَبِّرِ الغدَّارِ[1]**

✓ **(البئر)**:أنشودة "**ربَ ممِّيشْ** (بالميزابية)"

لا رقـــابة لاَ عَـــساسْ* اَنْوِكْلِينْ غَلَصَّرْحْ اطْغَاتْ**

بَتَّ يَخْسْ يَهْوَا تِيرْست * انْعَاوْمُو يخس الفايْدَتْ[2]**

نلاحظ أنّ موضوع الأنشودة يتمحور حول كيفية تربية الابن منذ الصغر، ولذلك فإن الشاعر هنا لم يوظف البئر بمعناه الشائع وهو مكان استخراج الماء، أو أنه رمز كتمان السّر أو أنه مصدر الحياة، وإنما جاء بمعنى السقوط والهلاك والسقوط ليس السقوط الحقيقي الذي يكون من الأعلى إلى الأسفل؛ بل الخوض في غمار الحياة بما فيها من صعوبات وحواجز وكلّ هذا حتى يتسقيم عود الابن ويشتد عضده ويصبح إنسانا ذا قيمة.

✓ **(واحة القرارة)**: حيث يقول الشاعر في أنشودة "**القرارة والعين (بالدارجة)**"

نَخْلَكْ اَهْلاَلْ امْدَوَّرْ * اعْـــــلَى الجَنْبِينْ**

بالخُضْرَة زاهِي يَقْطُر * يَـــــــسْحَرْ العِينْ**

يَتْمَايَل زَاهِي نَشْوان[3]

أخذت واحة القرارة شكل هلال، تلك الواحة المتوّجة بالنخيل، والتي تخترقها خضرة من ثلاث نواحي تسرّ الناظرين، الخط الهلالي الذي يشق بجماله الواحة منظرٌ يبعث بشعور الراحة والاسترخاء، ذلك الشكل الهلالي للواحة جعلها واحة لا متناهية من الجمال، وأعجوبة بمناظر تأْسِر العيون باخضرار أرضها، كأنها جنة ساحرة ببساتين نخِيلها البَاسِق، وبِتَرَقْرُقِ الماء غير الآسِن فيها؛ الذي يعكس لونا فضيّا، ترتوي منه كل من غُرْبْ" وُ"شرقيَّة"، "ضَايَة" وُ"شِيحيَّة"، "اسْحَنْ" وُ"غْدَايْرِيَّة" وهي النواحي المحيطة بالواحة، حيث ينشد قائلا:

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 96.

(2) المرجع نفسه، ص: 128.

(3) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 152.

فـــالسَّاقيَهْ فَضَيَّه** تـــرْوِي وتْزِيـــــــدْ**

"غُرْبْ" وُ"شرقيَّة"، "ضَايَة" وُ"شِيحيَّة"، "اسْحَنْ" وُ"غْدَايْرِيَّة"

فَوارَة في كُلْ أجْنَانْ. (1)

وفي بيت آخر من نفس الأنشودة

تَنْشَد فالسَّاقْيَة ألْحَان ** اتْحَيِّي لَجْنَانْ**(2)

ونجده وظّف لفظة **الجِنان** ليبرز تفاعل الطبيعة والصوت النغمي الذي يصدره أليلُ الماء، تحيّةً منه لكلّ نواحي الواحة القرارية.

ويعد هذا المنظر الطبيعي الثقافي الفريد مثالاً استثنائياً على العلاقة المتينة بين الشاعر وبيئته، فقد استطاع الشاعر بأسلوبه الفذّ إيصال رسالة فنية في شكل صورة بانورامية شعرية للقارئ، كأنه يرى شريطًا وثائقيا حول الواحة.

✓ **(الرياض)**: في قصيدة "**تدشين مدرسة الاصلاح**" يقول الشاعر:

اليومَ نغْرِسُ في الرِّياضِ شُجَيْرةً * وغَدًا نَلُوذُ بِظِلِّها الفَيَّاءِ**(3)

يشير الشاعر إلى أهمية بناء مدرسة الإصلاح بالقرارة، التي اعتبرها شجرة من الأشجار التي تغرس في رياض الواحة القرارية، ومثَّلها بالشجرة الصغيرة التي سيُقطَف ثمارها، ونستظل بضلالها المبسوطة عند كبرها على أرجاء هذا المكان، لأنها اليوم ستدشَّن، وغدا ستتوسّع بجهود رجالها، وستتوج بنوابغها وعلمائها؛ فهي مدرسة دينية تعليمية، تسعى إلى إرساء دعائم الدين والعلم والمعرفة، فطغيان المكان الطّبيعي في هذا البيت أضفى جمالية مكانية تُجسّد أهمية المدرسة الإصلاحية، فالشّاعر هنا راح بخياله من خلال تصويره للمكان الطبيعي"الروضة" ليثبت أنّ هذه المدرسة سيأتي أُكُلُها ولو بعدَ حين.

---

(1) المرجع نفسه، ص: 153.

(2) المرجع نفسه، ص: 153.

(3) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 57.

وفي قصيدة "**إلى شيخي بسيس قاسم بن الحاج سعيد**"

ولقد مررتُ على الريّاضِ وكلُّها ** جَذْلَى تَبَسَّمُ عن شتيتٍ ساحرٍ**[1]

يصف الشاعر الرياض والتي يقصد بها القرارة، التي رآها فرحى بعرس نجليْ شيْخِه – بسيس قاسم بن الحاج سعيد– فاروق ومحمّد، فقد كانت الطبيعة تحتفل بالربيع الذي أزهر حياته وحياة شباب القرارة، فالعرس كان عرس شِبلَيْ ذلك الأسد الذي يشهد له كل شبر من المدينة بالعطاءات الكثيرة وبالقرارات الجريئة في سبيل إعلاء كلمة الحق، فهو حكاية تروي العطاءات والتضحيات التي يصنعها رجال القرارة فكراً وثورة وحضارةً، ونجده هنا يُمَكّن للفظة **الرياض** حضوراً كنائياً يدفعه لاختبار ما يناسب تقوية المعنى الذي يرمي الشاعر إلى التعبير عنه وإيصاله للمتلقّي.

وفي قصيدة "الوطن الحبيب" يستحضر الرياض في قوله:

روضٌ جميلٌ، جوٌّ عليلٌ، ماءٌ يَسيلُ بينَ الوُرودِ

بين الرياض والنخيل أحلامي وآمالي[2]

إنّ الاختيار اللفظي لكلمة الرّياض يتطلب إحساسا بالجمال والعاطفة الذي ينمُّ عن إبداعية الشاعر، والتي تُجسّد ما تعطيه الطبيعة من مشاعر، فقد رسم الشّاعر آمالَه وأحلامه بين أحضان واحة زقرير، التي تبعث الراحة والاطمئنان في نفسيته، فكانت ملهمته في التدوين والقراءة، وقد كان أول نشيد له وهو طالب في السنة الثانية بمعهد الحياة موسوم بـ " الوطن الحبيب ".

وفي أنشودة "مرحبا بالعيد" جاء قول الشاعر في البيت التالي:

ابْتَسِم يا رَوْضُ في دَلاَل**وانْتَشِ يَا عِيدُ بِالجَمَالْ** [3]

(1) المرجع نفسه، ص: 75.

(2) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 125.

(3) المرجع نفسه، ص: 129.

تزامُنًا وعيد الفطر نظّم الشاعر قصيدته معبّرا عن معاني العيد العميقة، التي ترسم مظاهر السعادة والفرح، فيخاطب العيد وكأنه شخص يستمع إلى قصيدته، ليخبره بأن قدومه رسم بسمة السعادة على أرجاء مدينة القرارة.

وفي تدشين مدرسة الحياة نظم أنشودة تحت عنوان: "**الجيل الجديد!...**" يقول الشّاعر:

ومن روضِهِ حُزْتُ خيْرَ الصِّفَات ** وأنْبَتَنِي فيه قومٌ كِرَام** (1)

إنّ الاعتراف بالجميل لأهل العلم جميل، والأجمل أن الشاعر محمد صالح ناصر لم ينس فضل معلّمي مدرسة الحياة، فمنها نال أحسن الصّفات، وتَتَلْمَذَ على يد أفضلِ شيوخِ المدرسة، فالشّاعر ذكر المدرسة واصِفًا إيَّاها بالرَّوض الذي يشمل مختلف الأزهار والأشجار والنباتات، كذلك هو شأن مدرسة الحياة ففيها مختلف العلوم التي أنارت دربه، وساعدت على بناء شخصية كلّ طالب فيها.

✓**(الوادي):**

ارتبط اسم آل الحاج مسعود بوادي ميزاب، وليس سرّاً أنّ الحاج مسعود بكير بن مسعود قد بنى سمعة عظيمة في وادي ميزاب، وذلك للأعمال الخيرية والإنسانية التي قام بها؛ كمساعدة أقربائه في إكمال نصف دينهم، فكان هذا الارتباط المكاني بوادي ميزاب لإبراز مكانة آل الحاج مسعود. حيث يقول الشاعر: في قصيدة "**عرس آل الحاج مسعود**" (2)

والعرسُ عرُس (للحياة)جميعِها ** إذْ(آلُ مَسْعُودٍ) سَمَوْا بالوَادِي**

و في قصيدة "**بشراك يا إصلاح (انتخاب البلديات)**"

هو المغوارُ والبطلُ المفدَّى**هو الجوَّالُ يُحيِي كلَّ وادي** (3)

(1) المرجع نفسه، ص: 156.

(2)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 67.

(3) المرجع نفسه، ص: 73.

وظف الشاعر لفظة " الوادي " ليعبّر عن المكسب الذي حظيت به الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب، عند انتخاب أعضاء البلدية وتعيين السيّد "حمودة بابا بن حمودة بن بهون"، بعد ما كان النظام الإداري قائما على "القياد"و"الباشاغوات" الذي كان يعينهم الاستعمار، وكان "حمودة بابا بن حمودة " شعلة أنارت وادي ميزاب، فقد ذاع صيته وزانت سيرته في الوادي، وذلك لمعرفته الممتازة وخبرته العليا وتفانيه في العمل.

وفي أنشودة " **الوطن الحبيب** " **يقول الشاعر**:

يا وطَنَي الرُّوحي الغَالى** يَا بَهْجَةَ الوَادِي العَالِي**[1]

استهلَّ الشاعر أنشودته مخاطباً وطنه الغالي، الذّي ترعرع فيه، فهو من أجمل الأماكن بكلّ ما فيه؛ أراضيه، وسمائه، وتراثه، فهو بهجة وادي ميزاب، الذّي أراد من خلاله أن يبيّن أنّ هذا التشاكل اللفظي بين الوطن والوادي إنما يعبّر عن حبّه لهما، وأنّ هذا الحبّ لا يختلف فيهما اثنان، بل هو يسكن القلب والروح، كما أنّ جماله يتخطى الأماكن كلّها، فالمكان الطبيعي"الوادي" أعطى دلالة جمالية تعبّر عن مشاعر الشّاعر الجيّاشة في حب الوطن.

✓ (**سد وادي زقرير**): حيث يقول الشاعر في قصيدة "**عرس الإصلاح والكرم**"

إن تجهلوهُ سَلُوا الدِّيَارَ تُجِبْكُم** فالسَّدُ والطُّرُقاتُ بعضُ هِبَاتِهِ** [2]

فالسّد مكان تتجمّع فيه مياه باطنية تتفرع في كلّ الاتّجاهات، فكلّ الواحات والبساتين التي تمر بها تُسقى من خلال هذه السدود، فتوظيف الشاعر للسدّ هنا لا ليبيّن لنا أنه مكان تتجمع فيه المياه فحسب، بل ليكون شاهداً على الهِبات التي قدّمها "الحاج مسعود بكير بن مسعود"، فالمنافع التي تعود على واحة وادي زقرير بفضل الأعمال التي قامت بها شخصية ترى في العطاء عطر يخرج من شجرة حبّ الوطن والمنفعة للغير.

(1) المرجع نفسه، ص: 125.

(2) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 42.

✓(**البحر**): يقول الشّاعر في قصيدة "**تهنئة الزعيم بعيد الفطر**"

كالبحر ينثر للحبيب جواهرًا ** وعلى الخصوم يهيجُ فهو قَضَاءُ** [1]

ارتبطت صورة البحر هنا بصورة مشابهة لكل عمل فيه خير وفلاح من جهة ولما فيه من غضب من جهة أخرى، فالبحر يشبه الصحراء في امتدادها وفي غموضها، فالبحر بجانبه السّلبي فهو لا يخلوا من الإيجابية، لما فيه من خيرات وثروات حيوانية ومعدنية، حيث وظّف الشاعر هذه الصورة التشبيهية في قوله "كالبحر ينثر للحبيب جواهرا"، بما قدّمه "الزعيم الشيخ بيوض (رحمه الله)"، من خلال دروسه القيّمة، فبفضله انتشر تفسير القرآن في الآفاق، ففي هذا البيت ربط الشاعر بين صورتين متنافرتين فالأولى لما قدمه الزّعيم من علم وما يقابلها من مواقف جريئة وصارمة في وجه المستعمر، فتصل درجة غضبه كحالة البحر عند هيجانه، فيصبح كالبحر المضطرب الهائج في سبيل وطنه ووطنيته، فجاء البحر في اضطرابه هنا دلالة عن الغضب الشديد لمن أراد المساس بالوطن.

✓ (**الحُفَرْ**): **جمع حفرة**: يقول الشاعر في أنشودة "**عَلَمِي**"

فإذا اهْتَزَزْتَ مَعَ النَّسِيمِ على الجَبَلْ ** يَهْتَزُ الاسْتِعْمَارُ مِنْ خَوْفِ وَذُلِّ**

لَقَّنْتَهُ دَرْسًـــا أَمَـــــــرَّ ** فَهَـــوَى إلى قَعْـــــر الحُفَـــرْ** [2]

استعمل الشاعر لفظة "قعر الحفر" باعتبارها مكانا أجوفا، للدّلالة على الذلّ والإهانة عند الهزيمة النّكراء التي كان يتلاقّاها المستعمر من قبل المجاهدين، فكان كيان المستعمر يهتزّ كلّما رأى راية الوطن مرفرفة في أعالي الجبال، فلا التضاريس ساعدته ولا عزيمة المجاهدين مكّنته من إنزالها، فقد وفّق الشاعر في توظيف الحفر الدالة على الهزيمة والسّقوط.

✓ (**القرارة**): يقول الشاعر في قصيدة " **حصار القرارة** ":

(1) المرجع نفسه، ص: 112.

(2) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 167.

مـــــاذا تُـــريدُ عِصَابَةَ الأشْرَار* بقـرارةَ الأبْطـالِ والأحْـــــرارِ**

بالعُزَّلِ المسْتبْسِلين تَسُوقُهُـم * بالرَّغْمِ، تُوهِنُ بأْسَهُم بحِصـــارِ**

بالأَبْرِيَاء غَـــــدَوْا إلى أعمَالِهِم* إذْ رُوِّعُوا بإغَـارَة الفجَّـــــارِ[1]**

وفي أبيات أخرى من نفس القصيدة يقول:

قالوا: نفتش ! إي وربك إنكـــم * مثل الفـــرَاشِ يَحُومُ حَولَ النَّـــارِ**

قـــالوا: نفتش ! ثائرين، عميتم * أتفَتِّشُون قـــــرَارَةَ الثـــــــوَّار !؟**

أحسبتم الثوارَ شَاة في السّهو * لِ يصِيدُها الذّئْبُ الخَسِيسُ الضَّارِي[2]**

إنَّ المكان هنا تحول إلى مكان اضطهاد وتعسّف وتفتيش في حق العُزّل، فكان هدف المستعمر الانتقام من الثوار القاطنين في الجبال، والذين لم يستطيعوا الوصول إليهم، وهذا مستحيل، لذلك قاموا بتلك الأعمال الشّنيعة ضد العُزّل من رجال ونساء وأطفال فسرقوا ونهبوا واغتصبوا، وهذه الأبيات التي نظمها الشّاعر كانت تعبيرا عن الواقع المعاش في تلك الحقبة الزمنية.

ونجد كذلك في أبيات أخرى، بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار في قصيدة "**إيه يا(ديقول)..!** "قوله: [3]

كم أبدتُم من مسَاكينَ جِيَاعْ* بدِمَاء ودموعَ، وصِرَاعْ**

كم نهَبْتُم من سهولٍ وبقاعْ ***وتجبَّرْتُم ذِئابًا وسِباعْ

فتذكير الشّاعر ديقول بالأعمال الشّنيعة التي قام بها المستعمر بعد إعلان وقف النار؛ بأنها أعمال لا هي أخلاقية ولا إنسانية بالدرجة الأولى، وأنه رغم كلّ ما فعلتَ أصبحْتَ خافضَ الرأسِ طالبَ الغفرانِ.

(1) المرجع نفسه، ص: 93.

(2) المرجع نفسه، ص: 93.

(3)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 118.

فمن خلال ما سبق نجد أن المكان المنخفض أخذ دلالات سلبية باعتباره مكانا أعزلا، لا يستطيع الوقوف في وجه المستعمر، إلاّ أن هناك العلاقة بين المكان العالي والمنخفض.

وممّا سبق يظهر لنا جليًّا أثر المكان الطبيعي بين ما هو منخفض (السفح، السد، الوادي، البحر)، ومرتفع (الجبال، النخيل، الخميل، القلعة) التي عبّر عنها الشاعر بصور مختلفة، تختلف باختلاف دلالتها المكانية، فالشاعر بتفاعله وتأثّره مع سحر الطبيعة أضفى إليها دلالات جديدة، وذلك لعلمه بأسرار الحياة وتجلياتها، فعبّر عن وقائع منها سياسية إجتماعية، ثقافية، تاريخية، دينية، تنبع من تجربته الخاصة ومن واقعه المعاش، كما أنّ جمالية المكان الطبيعي عند الشاعر"**محمد صالح ناصر**" ترتبط ارتباطا وثيقاً بالواحة القرارية، فهذه المناظر الطبيعية – من نخيل وأشجار، ورائحة عبق الزهور، التي صورها الشاعر– مرسّخة في ذاكرته عبّرت عن انتمائه، ووطنيته، وتفاعله بين أحضان هذه الطبيعة الخلابة.

بعد هذا التطواف العملي في ديوان محمد صالح ناصر، بمشرط الحضور المكاني فيه، نستخلص أنّ الشاعر كان متأنّقا بحسّ مرهف وأسلوب راقي ورؤية واضحة، كلّ هذا مبعثه حسن الاختيار المكاني وحسن التوظيف، فضلا على الدلالة العميقة التي سطّر على منوالها اختياراته اللفظية، فكانت انتقالات الشّاعر المكانية تماشيّاً وحركية الواقع المعاش، عبر تناثرات وجدانية لهذه الأمكنة.

المطلب الثالث: ثنائية البادية والحضر:

إنّ من بين التقاطبات الضدية التي تميّز المكان، ثنائيتي (البادية والحضر)، فهذه الأمكنة قد تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتاريخنا وماضينا وحاضرنا وانتمائنا، باختلافها وتعدّدها، والمتمعّن في قصائد الديوان يدرك مدى تفاعل الشاعر "محمد صالح ناصر" مع هذه الأمكنة. فنجد:

أ– البادية:

تعدّدت الأمكنة في ديوان "**وحي الضمير في واحة زقرير**" فكان للبادية صدى خاصًّا لدى الشاعر، فالبادية عكس الحضر من ناحية الاكتظاظ السكاني؛ ففيه تقلّ الحركة، وصوت المصانع والسيارات، بالإضافة إلى تميز طبيعته بالهواء النقي، فقد تجلّت البادية في قصائد محمد صالح ناصر بشكل واضح، ففيه يجد الإنسان راحته و تنفسه الطبيعي بحيث الهواء النقي و الصافي، ومن أماكن البادية نجد:

✓(**الواحة**) : **ففي أنشودة" بين النخيل** " يقول الشاعر :

بين النخيل، فوق الجميل، والورد يميل، مع النسيم العليل

حيث الطبيعة ، زاهية بديعة

فالورد يبتسم ، يبتسم، والطير رنم، رنم

والماء يهدي الخرير، بين النخيل [1]

وفي أبيات أخرى:

بين السنابل والكروم، ورقة الماء الزلال

يحي أديب شارد، لا يشتهي غير الخيال

روح تفتح للطبيعة ، للطلاقة ، للجمال[2]

فجاء الشّاعر معبّرا وواصفا ومتفاعلا مع طبيعة الواحة القرارية الخلابة، بعيدا عن ضوضاء المدينة، مبيّنا مدى ارتياحه فيها، فهي جزء لا يتجزأ من حياته، فالشاعر تغنّى بطبيعة الواحة القرارية وبخيراتها، فالعلاقة بينهما علاقة وطيدة، فكانت الواحة ملهمته في إظهار الجمال الإبداعي في كتاباته.

✓ (**القريـــــــــة**): في قوله في قصيدة " **حصار القرارة**":

جُبَنَاءُ ظنُّوا في القُرى يجِدونَ مَكْمَنَ ** فرقَةَ الأحـــرارِ والأنصارِ**

هَبْ في القُرى كَانُوا فهل يَذَرُونَكُم ** أنْ تفلتوا منْ قبضةِ البتَّارِ؟** [1]

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 136.

(2) المرجع نفسه، ص: 137.

جاءت القرية بصورتين؛ الصورة الأولى متمثلة في تلك المساعدات التي كان يقدّمها معظم سكانها للثوار، الصورة الثانية متمثلة في ذلك المكان الأعزل الذي لا يستطيع الوقوف في وجه المستعمر، والتي سلّط عليها المستعمر مختلف الأعمال الشنيعة المرتكبة في حق أهل القرية، فكانوا ثائرين غاضبين لعدم قدرتهم على التغلب على الثوار، الذين تربعوا على عرش الجبال، فسلّطوا جبروتهم على أهل القرية العُزّل، فنلاحظ أن القرية أعطت جمالية روحية، تدلّ على روح المقاومة وعدم الاستسلام، فالاستعمار الفرنسي لن يستطيع الفتك بجسد واحد وقلب واحد.

✓(**المداشر**): قصيدة " **جنود السلام**"[2]

وسُدْنَا في المداشِرِ والصَّحَارَى ** تُؤَيّدُنا الملائكةُ الكِرَامُ**

حدّد الشاعر الأماكن الواقعية التي لجأ إليها جنود السلام، فالمداشر اعتبرت في القديم أصل المدينة قبل الانتقال، فكانت ملجأً للثوّار في تلك الفترة، و هي مكان أقل من القرية تقع في منطقة نائية، تأتي عادة إمّا في الريف أو الجبل، وقد وظفها الشاعر لما فيها دلالات تدل على أن للمداشر دور في إنجاح الثورة من خلال الدّعم المقدم للمجاهدين، فقد كانت المداشر تستقبل وفود المجاهدين في كلّ الأوقات، فهي مكان لاختبائهم، وكتم أسرارهم.

✓ (**البوادي**): يقول الشّاعر في قصيدة " **بُشراك يا إصلاح** "

يصولُ الذّئبُ في البلدانِ مكْرًا * إذا نام الغَضَنْفَرُ في البوادِي**[3]

شبّه الشاعر الرجل المصلح بالأسد الذي يسهر على حماية وطنه، فإنّ كلّ من سوّلت له نفسه فسادًا في البلاد، لن ينال شيئا إلا إذا غفل الأسد عن حراسة البادية، والبوادي جزءٌ من الأراضي الصّحراوية، الذي يمتدّ فيها وادي ميزاب.

نستخلص مما سبق أن الأمكنة الريفية كانت بارزة في الديوان، من خلالها نرصد حياةً واقعيّةً طبيعية، تتمثّل في العطاءات الشعرية لدى الشاعر، فالواحة مكان الألفة والراحة النفسية،

(1) المرجع نفسه، ص: 94.

(2) المرجع نفسه، ص: 114.

(3)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 72 .

إضافة إلى تلك الأماكن الريفية كالمداشر والقرى التي تعكس لنا الطابع الثوري، والذي تجسد في اختراقات العدو غير المبررة ضد الشعب الجزائري، وفي التضحيات البطولية لسكّان المداشر التي لعبت دوراً كبيرا، وكانت بمثابة النبض الذي تحيا به الثورة التحريرية.

ب- الحضر:

إنّ التنوع المكاني للمدن في الديوان أخذ دلالات مختلفة، كونها وجهًا حضاريّاً حديثًا، تختلف عن البادية من حيث رابط العلاقات الإنسانية.

فيذكر الشاعر مدينة:

✓ **الجزائر (الجزائر العاصمة)**

عند ذكره لمدينة الجزائر نجده في حالة شعورية كئيبة بسبب فراقه عن خطيبته التي سافرت إلى الجزائر العاصمة، ممّا تولد لديه الشعور بالاغتراب والعزلة فيقول في خواطره:

يَسِرْن الهُوَيْنَى ضاحكاتٍ من ادْمُعي ** هَزَأْنَ لحُبِّي، عاجباتٍ لشاعرِ...**

...يَبيتُ كئيبًا ســــــــاهراً لضجيعةٍ ** تنامُ غطِيطاً في ديار الجزائرِ [1]**

وعند التمعّن في قصائد الديوان نلاحظ أن المدينة أصبحت تروي قصص الفرح والسرور، فقد انتقل من تلك العتمة إلى النور ليعبّر عن فرحتين؛ الأولى فرحة العيد، والثانية فرحة الشاعر باجتماعه بأكبر المفسّرين الجزائريين الشيخ "بيوض" (رحمة الله عليه)، فأصبح البياض يعمّ الجزائر، ممّا ولّد لديه شعور الفرحة والفخر والاعتزاز، فيقول في هذه المناسبة:

قد أزاحَ ليلَ الظالمين ضياؤُهُ ** وتنوّرَتْ ببياضِه البيضاء [2]**

وها هو الشّيخ "بيوض" أيقونة مدينة القرارة مرة أخرى يكون له الفضل في إدخال البهجة على المجتمع القراري والمزابي، حينما زفّ إليهم خبر المهام التي أُسنِدت إليه في الجزائر

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 59.

(2) المرجع نفسه، ص: 110.

العاصمة، وهذه الفرحة وضعت الشّاعر في حالة إبداع شعري من خلال التوظيف المكاني، فيقول:

هذي جزائرُنَا، حيَّتْكَ هاتفةً ** بالشّعبِ نابضةً نَشْوَى منَ الطَّرَبِ** [1]

✓ **(القرارة):**

فالشاعر يلّح في إعادة ذكر مكان القرارة، في جلّ قصائده؛ كي يراها ماثلة بين عينه بمكتنزاتها الوجدانية؛ وكأن حضورها يؤكد وجوده ويصل ذاكرته بذاكرة وطنه، فيقول:

مـــــاذا تُريدُ عصابةُ الأشْرارِ ** بقرارةِ الأبطالِ والأحْرارِ**[2]

ويبدع الشاعر مرة أخرى في استحضار الأمكنة، وهذه المدينة لا تقلّ أهمية عن أيّ مدينة أخرى في الجزائر، ليذكرها في أنشودة بعنوان " **عرس الشيخ محمد علي وبوزيان "عيسى" (الليلة الليلة...) وهي مدينة:**

✓ **(بريان ريَّان)**، فينشد قائلاً: [3]

هذِي (ريَّانُ) عروسٌ في حِلًى ونُور**طَرِبَتْ لعُرْس(عِيسى) في العرشِ أمِيرْ**

إنّ مدينة بريّان (ريّان) تتشابه في العموم مع مدينة القرارة في العادات والتقاليد، فشبّهها الشاعر بالعروس في أبهى حلّتها محتفلةً بعرس ابن أحد أبرز الشخصيات في المنطقة.

✓ **(باب الواد):**

ذكر الشاعر مكانا يمثل عمقا تاريخيا وهي مدينة "باب الواد"، فهذا الاختيار المكاني فرضته مسألة تاريخية راسخة في وجدان الأمّة؛ لأنّ باب الواد عبارة عن تجمعا سكّانيا **للأقدام السوداء،**[4] –في الجزائر العاصمة– المتشددين المقيمين في الإقليم الفرنسي آنذاك في الجزائر

(1) المرجع نفسه، ص: 115.

(2) المرجع نفسه، ص: 93.

(3)محمد صالح ناصر، مرجع نفسه، ص: 158

(4) الأقدام السوداء: المستوطنين الأوروبيين الذين عاشوا أو ولدوا في الجزائر إبان فترة الاحتلال الفرنسي (1830–1962)، وقُدّر عددهم سنة 1960 بنحو مليون نسمة، وتنحدر أغلبيتهم من أصول إيطالية أو إسبانية أو مالطية

الذين عارضوا وقف إطلاق النار الذي أعلن عنه الرئيس الفرنسي (شارل ديجول) في 19 مارس 1962 بين القوات الفرنسية وقوات جبهة التحرير الوطني، التي تقاتل من أجل الحصول على استقلال الجزائر، وقررت منظمة الجيش السّري التمسك بمعقلها في باب الواد منطقة للتصدي لاتفاقيات إيفيان بالقوة، ففي قصيدة : **يا (ديقول)..! (وقف اطلاق النار)**" يقول:

قل (لبابِ الوادِ) إذْ ماجَ كِسِيلْ ** قتِّل أو حرّق وعِثْ في كلّ مِيلْ**

واحـصُد الأرْواحَ حصداً دونَ كَـيْلْ** يــمُتْ جيلٌ غدا ينبُتُ جَيْلْ** [1]

وقد أبرز الشّاعر في قصائده نوراً انتشر بين العُرب والعجم، ابتهاجا بمولد خير المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام، إنه محمد بن عبد الله، فضمّ شعر "محمد صالح ناصر" بين ثناياه الكثير من مواطن الجمال، فانتقل نور ميلاد رسولنا الحبيب صلّى الله عليه وسلّم وصل من مكّة إلى الصين احتفالا به عليه صلوات ربي.

- ✓ **فيوظف الشاعر مكانين هامّين هما (مكة ، الصين)في أنشودة "ميلاد النّبي" صلى الله عليه وسلم، فيقول:**

فَتَحْتَ الخَافِقَيْن** مَلَكْتَ الثَّقَلَيْن**

مِنْ مَكَّة حتَّى الصِّينْ [2]

وحتى من أوروبا الشرقية، ولا يشكل الفرنسيون منهم سوى 11 بالمائة حسب إحصائية أعدت في عام 1948، وترجع تسمية ''الأقدام السوداء'' إلى لون أحذية الجنود الفرنسيين الذين دخلوا الجزائر للمرة الأولى عام 1830، والتي كانت سوداء، لكن البعض يربط هذا الاسم بالمزارعين من المستوطنين الذين كانوا يعصرون العنب بأقدام حافية لإنتاج العصير والخمور، عن موقع ويكيبيديا، يوم: 25-08-2020.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%AF%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D8%A1#.

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 120.

(2) المرجع نفسه، ص: 148.

وانتقل الشاعر في إحدى قصائده مفاخراً بذكرى الاستقلال، وقد اجتمع المغرب العربي حتى الأطلسي محتفلين بعيد استقلال الجزائر، فهذه الشعوب تدرك قيمة استقلال شعبها، لأنها كانت أسيرة الاستعمار الخارجي، ذاكراً في أنشودة **فرحة التحرير (عيد الاستقلال)**:

- ✓ **(المغرب والخليج العربي) و(الأطلسي) قائلا:**

صيحةُ التَّكبيرِ هزَّتْ مغربِي**فسَرَى البِشْرُ لِكُلِّ العَرَبِ[1]**

وفي بيت آخر من نفس القصيدة:

من خليجِ العُرْبِ حتى الأطلسِ**قبَسُ من نورِ ربِّي الأقدَسِ[2]**

فقد شمل المغرب العربي كلّ مدن المغرب بشرقها وغربها وشمالها وجنوبها، فالشاعر عبّر عن هتافات وفرحة الشعب الجزائري، فعلت صيحات التّكبير التي وصل صداها إلى كلّ البلدان العربية عامة والمغربية خاصة بدافع الروابط الأخوية التي تجمعهم، وعلاقة التضامن والتعاون بين دول "المغرب العربي"، ليبرز مدى تلاحم العرب من أجل القضية الجزائرية.

وأبرز الشاعر هذه الأمكنة ليبيّن مدى وصول صدى القضية الجزائرية إلى كلّ شعوب العالم، باعتبارها قضية رأي عام وليست قضية شعب جزائري فقط.

نستنتج من المختارات التي انتقيناها من الديوان، أنّ هناك علاقة بين الشاعر "محمد صالح ناصر" و "الواحة لقرارية "، فلا يمكن تصور حياة الشاعر بمعزل عن هذه الأمكنة، وأنه اتخذ من المكان الجغرافي نقطته الأولى لخياله الواسع، أظهر من خلاله أسلوبه الشعريّ المميز ، فاستطاع تصويرها ونقلها للمتلقي بصور متعددة وبشكل فنيّ جماليّ، بالإضافة إلى أماكن المدن (الجزائر، باب الواد، مدن الخليج العربي والمغرب العربي والأطلس) كان لها دورا في بناء النص الشعري، حيث وظفها الشاعر بدقة وببراعة، فكان هذا الاختيار كاشف عن الحضور

(1) المرجع نفسه، ص: 164.

(2) المرجع نفسه، ص: 164.

الإبداعي الجمالي في بنية القصيدة، فجاءت الأمكنة متعددة ومتنوعة مما أدى إلى تعدد معانيها، فهذا ما أضفى طابعا جماليا للمكان في جل قصائد الديوان.

المطلب الرابع: التوظيف المكاني للأبعاد والدلالات:

إن المكان موجود في مخيلة الشاعر وحياته، بل مسيطر عليه في كل شعره، لأنه وجهه الآخر وتاريخه للماضي والحاضر، وقد تأسست رؤيته على خلفيات ومرجعيات متعددة حسب السياق النصي، وخصوصية التجربة، وضروريات المرحلة، فالمكان قبل أن يتعامل معه الشعراء على أنه فضاء نصي وطريقة شكلية لإضفاء دلالات على النص، لأنه بحد ذاته الركيزة الأساسية التي بني عليها و تختلف أبعاد المكان و دلالته حسب تعددها لدى الشاعر.

- **البعد النفسي:**

فجل قصائد الشاعر تحفل بأمكنة تحمل أبعاداً نفسيةً، واجتماعية، فنجد هذا مثملاً في قصيدته "رثاء عنيزة " فمقصود الشاعر ليس عنيزة حبيبة إمرؤ القيس، وإنما هي عنيزة جميلة سوداء ببياض تمنح الحليب له ولأفراد عائلته، فأثر ذلك في قلبه، مما جعله يكتب قصيدته المتعددة الأمكنة التي تصور ما يختلج في أعماق نفسه فيقول

تَرَكْــتُكِ تَرْتــدينَ التُّرْبَ لَحْدًا * وقدْ رَقدَ الأسَىْ وسْط الجَــنَانِ**

وَكنتِ وحيدةً في القَفْرِ، حاشا ***وعيـــنُ اللهِ تـرَعــى كُــلَّ فانِي

وآيـــــة ربّــنا في كــلِّ حَــيٍّ * يــدِبّ على الــبسيطةِ للعَيَـانِ [1]**

فكل من هذه الأمكنة (اللحد، الجنان، القفر) توضح جمالية المكان، من خلال توظيف الشاعر لها، حتى وإن كانت تحمل طابعاً مأساوياً.

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 50.

- **البعد الاجتماعي:**

أما من الناحية الاجتماعية فقد اهتم الشاعر بأمكنة متنوعة تعبر عن واقعه، فنجد شاعرنا مثلا في قصيدته " تجارتنا في التل" قد حفلت بأمكنة ذات دلالات عميقة، وظفها بجمالية تبرز معنى كل حرف لهذا المكان فيقول: [1]

إيــزُورَانْ أُوَّغْــلَانْ [2]الـتـــــلْ * رَوَّتَّــنْ اسْـتَــرْوا نْلَـحْــلاَلْ**

فمصطلح "التل" الذي يعني مدن الشمال، ويقابله عند الميزابيين مصطلح أغلان كما ورد في البيت السابق، أو ما يعرف بـ"لبلاد" بالعامية العربية، "فالتل" هو مكان للعصاة و المجرمين، و هو كذلك مكان للتجارة، وكسب الرزق، ومكان لتربية الأبناء على تحمل المسؤولية،

بعيدا عن أهلهم لتكوين شخصيتهم. فالشاعر من خلال هذه القصيدة ينبه أرباب المال و أصحاب التجارات بأن يجعلوا هذا المكان "التل" صديقا لا عدوا للعمال الصغار، وبأن لا يكون فضاءا يلتهمهم ويقضي على أخلاقهم، والتمسك بالدين الحنيف لأنه المنجي في وقت الضيق. وقلَّ أن تجد مزابيا لم يعمل في صغره في التجارة في مدن الشمال " التل"، ولذلك يكتسب هذا المصطلح لدى الشاعر المزابي دلالة عميقة لا نجدها عند الشاعر غير المزابي فيقول في أبيات بلهجة عامية قريبة من الفصحى :

شُوفُوا و اْتفَكرُوا مْلِيحْ يا ناسْ * تِجارتْنَا رَاهِي ابْلَا سَاسْ**

عَصْرَ الصَّارُوخْ و الهيدْرُوجَانْ * وَاحْنَا مَعَ الِمتْرَا والِميزَانْ**

(1) المرجع نفسه، ص: 151.

(2) أغلان: لفظ أمازيغي، يعني " وادي مزاب "، و أكثر ما يستعمله المزابي حينما يكون مغتربا بعيدا عن موطنه للدلالة عن شوقه وتعلقه بمسقط رأسه، مجموعة من المؤلفين «معجم مصطلحات الاباضية»، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2006، ج1، ص:37.

الغُــرْبَـــةْ وَالـمـِيـزِيـــريّـَـة * وَقَلَّتْ الدِّيـــنْ والتــرَّبِيَة**

سَبْـــعْ اَسْنِيــنْ فَالكُـوزِينَـــــة * لاَ صَنعه يجيْبْ وَلاَ مَهْنَة[1]**

ونجد كذلك أنشودة "يالله خويا"، التي كتبت باللهجة العامية ومعنى العنوان "هياً ياأخي"، التي تمثلت في الدعوة للتبرع والإحسان لإنجاز المشروع الثلاثي (المسجد، المدرسة، المعهد)، فالشاعر يعتبرها أمكنة مقدسة، إذ حث على تشييدها فكل مكان من هذه الأمكنة له بعد ديني أولا وتربوي وحضاري ثانيا، فقد سماها "بقلعة الإسلام" لما تحمله من معنى فيقول:

(1) م ن، ص : 149.

يا سـاعِي لَلْخِيــرْ ما تَشْقَى لَبْعِيدْ * هَذا بَابْ الخيرْ مَفْتُوحْ لَكْ بَالْجُودْ**

عَــاوَنْ بحَجْرَه في قَصْرَ الحَيَــاةْ * تُبْنَى لَكْ قْصُــورْ في دَارْ الجَنَّــاتْ**

فَخْرْ وذِكْر امْليحْ يبقَى لَكْ فالنَّاسْ * أَجرْ وْخِيـرْ وْرَبَــحْ تْلقَى وْحَسَنَــاتْ**

قَلْعَة الإسْــلام يَا الله عَــــاوَنْنَــا * نَبْنِيــهَا لَلْجِيـلْ تَسْعَــدْ أُمّتْنَا[1]**

اِستّهلَ الشاعر قصيدته بياء النداء، المستخدمة في النداء للبعيد، وهذا لتنبيه القارئ لعظم مكانة هذه الأمكنة وعلو شأنها، والغافل عنها غافل عن آخرته، فبدل تركيز الناس على بناء القصور في الدنيا فيقومون ببنائها لآخرتهم وهذا بأعمالهم الدنيوية.

فالمسجد بمعناه العام هو دار عبادة المسلمين وتقام فيه الصلوات الخمس، وهو إحدى ركائز بناء المجتمع من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية.

وظف الشاعر رمز "المسجد" لما يحمله من معاني عميقة، فهو إستجابة لدعوة الإسلام لطلب العلم عامة والتفقه في الدين خاصة، وتقام فيه الصلوات الخمس، وهو إحدى ركائز المجتمع من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية.

وظف الشاعر المسجد بجمالية، وهذا لإبراز مايحمله من دلالات دينية ورمزية وحضارية تجعل الإنسان محبوباً عند خالقه وبعيدا عن شهوات الدنيا وملذاتها.

ونجد كذلك "المدرسة" و"المعهد" بنفس المعنى من خلال توظيفهما لدى الشاعر، فقد وظفهما بجمالية تبرز دلالاتهما العميقة والهادفة، فهما يتوليان تنشئة الأبناء والعمل على رفع قدراتهم ومهارتهما في شتى المجالات، فيهتمان بالتربية السليمة من الناحية الجسمية والعقلية بهدف تكوين شخصية مُتّزنة.

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 141.

نستخلص مما سبق أن الشاعر قام بتوظيف البعد النفسي والإجتماعي من خلال أمكنة مختلفة ذات معاني عميقة، تعبر عن مايحس به الشاعر اتجاه واقعه المعيش.

- **البعد الوطني:**

ساهم البعد الوطني بشكل جليّ في إبراز العديد من الأمكنة، التي تعبر عن حالة الشاعر وماعايشه من ضياع وحرمان وغربة مع أنه في وطنه، فتحدث عن هذا في قصيدته "ملحمة الجزائر" في البيت الخامس فيقول:

كتَب المـجدُ قصةً وطنيّـةْ بدمـاءِ المـجاهدِين الزكيَّةْ

في سجِـلِّ الجزائـرِ العبقريَّةْ سوفَ تبقى قصِيدةً أبديَّةْ

يـتغنّى بـها حمـاةُ الجـزائـرْ

من دَويِّ الرصاصِ وهو مُزمْجِرْ ومن المدفعِ المُزَلْزِل يهْدِرْ

وبصوتِ المجاهدِين يُكَبِّرْ فِي أعالِي الجبالِ للظُّلْمِ يَقْبِرْ

كـلُّهـا ثـــوْرَةٌ مـن أجـلِ الجزائـرْ [1]

تحدث الشاعر أولا عن قصة وطنية عبقرية عايشتها الجزائر الأبية دوَّنتها بدماء المجاهدين الزكية، ثم تحدث عن دوِّي الرصاص وهدير المدافع، فاستعان بتكبير المجاهدين في أعالي الجبال لدفن الظلم، وختمها بأن كل هذا من أجل الوطن.

- **المكان العدو (فرنسا، باريس، ايفيان):**

وفي أبيات أخرى من نفس القصيدة (البيت العاشر) يقول:

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 97.

أنـــولّيكِ يا فرنْسَـه اللَّعينَـة يَا ابْنَةَ السَّوْءِ والهوَى يا خؤُونَه

أنـــولّي ذليـــلةً مِسْكينَـــة يتَـولَّى الزمَـــامَ فيـها رُعُونَـه

كَـشفتْ خُبثَـه أُسـودُ الجـزائـرْ[1]

فهنا يصرح بأن "فرنسا" تمثل مكان العدو الأبدي للوطن، وهي الشر والظلم بحد ذاته من خلال ما تسببه من آلام وضياع وتيه للبشر وهم في أرْضهم.

وفي أبيات أخرى من نفس القصيدة، نظم الآتي: [2]

أنتِ لمْ تَتْـركـي هُـــداةً، ودِينَـا فـــي صـــدورِ الرجالِ إلاَّ أُهِينَا

تَحْقِـريـــن الإسـلامَ والمسلمينَا وتـدُكّيـــــنَ عُـنْـــوةً مـا بَنَيْنَا

وقُصارَاكِ أَن تَمُوتَ الجَزائرْ

فإذا شيدَ مَسجِدٌ شِدْتِ حانَهْ وإذا شِيـدَ معـهـدٌ شـدْتِ خانهْ

وإذا واعظٌ دعَـا للـدِّيـــانَـــهْ أو خطيبٌ سعَى قَطَعْتِ لِسَانَهْ

غايـــــةٌ مِنكِ فِتنةٌ في الجزائـرْ

وظف الشعر ثنائية المسجد والحانة لإبراز مدى تعارض المجتمعين والثقافتين، باعتبار أن فرنسا أرادت طمس الهوية العربية الإسلامية عامة والجزائرية خاصة، فرنسا فالثوار كانو يبنون مساجد أخرى بدل المسجد الذي هُدم، أو حُوِّلَ الى حانة أو كنيسة، فهذه الثنائية أبرزت جمالية هذا المكان من خلال توظيف محمد ناصر لها.

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 98.

(2) المرجع نفسه، ص: 98.

- **المكان الصديق (الأوراس، الجزائر):**

وفي قصيدة"إيه يا ديغول " (وقف اطلاق النار) قام كذلك بإبراز البعد الوطني من خلال توظيفه لمنطقة الأوراس بجمالية تبرز دلالتها، التي تعني التشبث بالأرض وبالجذور، وإبراز الذات، فقد تحول هذا المكان الصخري الى شاهد على التاريخ، والتحول والهزيمة وأخذ كينونته من عظمة الأحداث التي وقعت به، فيقول: [1]

لمْ نُسَجِّلْهَا بِصمغٍ أوْ مِدادْ* إنَّمَا سَجّلهَا حِبرُ الزِنادْ**

وانْبَرَى الرشّاشُ فِيها للفسادْ* فَوْقَ أَوراسٍ يُعَرِيّ الاضْطِهادْ**

يُشْهِدُ الدنيا أناسًا وجمادْ

يَوْمَ نَادَانا إلى الصَّخرِ الأَشَمْ * فَنَصَبْنَا لِمَبَادِينَا عَلَمْ**

فِي بيَاضِ النُّورِ في خُضْرِ القِمَمْ * بَيْنَ نَجْمٍ وهِلالٍ مِنْ قِيَمْ**

عانقَ النصرَ فحيَّتْهُ الأُمَمْ

فهنا يبرز الشاعر أن الثورة لم يسجلها بالحبر على الورق وإنما بدوي الرصاص، الذي كان ضد الفساد، وهذا كله في الأوراس التي كانت شاهداً على ماحدث، وراح يفاخر بقمم الأوراس، موحيا بذلك إلى العَلَم الوطني في رمزيه نجمٍ و هلالْ دل عليه ببيَاضِ النُّورِ وخُضْرِ القِمَمْ.

كما شهد الديوان بعض القصائد الوطنية التي تحفل بأمكنة تعبّر عن التيه والفقدان، بعدما اسْتُبِيحَ كل شيء ولم يبقَ إلا الوطن الجريح يرجع إليه الشاعر، ليستريح ويقر بالفاجعة، وهو في مواجهة المستعمر، وهذا متمثل في قصيدته "**حصار القرارة**" فيقول:

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 118.

هُم في الجِبالِ معَ الجِهادِ بِمَوْعِـدٍ* يَتربَصونَ عَلى خُطَّوطِ النّـَارِ**

كَرِهوا حَيَاةَ الـذُّلِّ فَانْطَلَقُوا إِلَى * شُـمِّ الجِبَـالِ لِسَحْقِ الاسْتِكْبَـارِ**

خُنِقُـوا بَنَتَـنِ الظَالِمِينَ ففَضَـلُوا * استنشاقَ جَوِ الشُّمِ في الأَسحَارْ**

عَشِقُوا المعَالِي فَاْعْتَلَوْا عَالِي الصُـ* خـورِ يـُواجِـهـونَ أَرَاذِلَ الأشْـرَارِ**

لَـمْ تَبْقَ فِـي أَرْضِ الجَـزائــرِ ذَرَةٌ * إلا وَفِـيـهَـا خَـفـقَـة مِـن شَــارِي**

والهِّـمَـةُ العَلـيْـاءُ تُـطْلُبُ مِثْلَـهَـا * سُكْنَى، ولو كانَتْ عَلى الأقمارِ! [1]**

لقد حوّل الشاعر هذا المكان الصخري (الجبال)، إلى تاريخ وشاهداً على التحول والهزيمة وأخذ كينونته من عظمة الأحداث التي وقعت به، فهو مكان مثل الأمكنة العادية لكن الشاعر وظفه بجمالية جعلته يظهر بشكل جلي.

فالجزائر هي النبض والبسمة والنغمة والألفة، فهي حلم لم يتعدّ الأمنية في أن يبقى الوطن موحداً ومتماسكاً، وألا تؤثر عليه المحن و الفتن.

ولو تتبعنا الديوان بأكمله لوجدنا أن لفظة "فرنسا" وما يتبعها من مناطق مثل "باريس وإيفيان" كلها تمثل عند الشاعر مكان العدو عند الشاعر مكان العدو الأبدي، الذي انتهك الحقوق وطمس الهوية واغتصب الوطن.

- **البعد السياسي:**

أما بالنسبة للبعد السياسي فقد تجلى في الكثير من القصائد والأناشيد التي أبرزته بمختلف الأمكنة، وهذا متمثل في أنشودته (فرحة الشعب بالزعيم) التي كانت "بمناسبة عودة

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 119.

الزعيم الشيخ إبراهيم بيوض من بومرداس بعد تعيينه مكلفا بالشؤون الثقافية في الحكومة الانتقالية وذلك في مارس 1962 "كتب نشيده الأتي:

اللهُ أكـبـرُ يَـا بِـــلادي فـافْــرحِـي* قـدْ جـاءَ بالـتحريْـرِ عَهدُ أَفلَــحِ**

لْتَــعْلـمـي أَنَّ الـبَـقـاءَ للأَصْلــحِ* والله فـي عُيـونِ الـتَّقِـي المُصلحِ**

حَـيِّ الـزَعيمْ... حــيِّ الزعيـمْ...* وهَـلِلِـي، وكَـبِـري، وسَبِـحِـــي**

أَهـلاً وسهْـلاً أيُّــهَا النـسْر الأَبّــي* اِنـزْل على الرحْـبِ عَزيْز المنْصبِ**

فيَـا زَعيـمًا فـي سـمـــاء الـمغـرب * بُورِكـت بَدرًا في السماءِ الأَرْحَبِ**

لَـما دَعَـاك وطَـنُنا الغـالي الحــبيب* لَبَيْتَ طَائِـرًا على متْـن الخُـطُوب[1]**

استهل الشاعر قصيدته بالتكبير لبلاده من شدة الفرح الذي جاء بالتحرير، وأشاد بأن الله في عون كل مصلح أراد الخير للبلاد والعباد، في إشارة للزعيم الشيخ بيوض، فقد كان بمثابة النسر الأبي على منصبه، واصفا إياه بالبدر في سماء المغرب الأرحب الذي لبى نداء الوطن الغالي رغم الخطوب، وحارب الطغاة بنار من جحيم ليحقق بذلك البشرى لشعبه الكريم"بلادي، المنصب، المغرب، السماء، وطننا، الآفاق، الجحيم" أمكان وظفها محمد صالح ناصر لإبراز مدى فرحة الشعب بزعيمه وكفاحه في سبيل وطنه الغالي وشعبه الكريم، فكلها أماكن مفتوحة تدل على المكانة التي يحظى بها في قلوب أحبته التي تفديه من الكروب.

وفي أنشودة أخرى بعنوان"**فرحة التحرير**" أنشد:

صَيْـحةُ التـكَبـيْر هـزَت مَـغْـربـِي* فسَـرى البِـشْـر لكـل العرب**

قَـالـهَـا الجَيْشُ معَ الشَعبِ الأَبِّي*فأطـاحَـت بعُـروشِ الأَجْـنـبِي**

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 168.

ضرْبةٌ قَاضِيةٌ من أُباةٍ نُجُب

منْ خلِيج العُرْبِ حتى الأَطْلسِي* قَبسٌ مِن نُورِ رَبّي الأَقْدَسْ**

شَّعَ مِن وهجِ دماء الأنْفُس* بُشِّرتْ منْه بنصْرِ أَنْفسِ**

قَبسٌ شَّعَ لنا منْ جبالِ الأطْلسِ

أَمْهلُوا ضَربَ الغُلاة الأَدْنِياء* قاتِلي الأَرْواحِ سفَاكِي الدِماءِ**

إنَّهمْ واللهِ أوْلى بِالرَثاءِ * فهُم عِندَ اِنْتفاضاتِ الفَناءِ**

وغداً مِن يدِنا سوْفَ يلْقَونَ الجَزَاءْ[1]

وهذا تطرقنا إليه مفصلا في المبحث الأول، فهنا يعبر الشاعر عن مدى فرحة البلدان العربية ومساندتها للشعب الجزائري بإستقلالها، وهذا يظهر لنا بجلاء تكاتف رؤى العالم العربي مع القضية الجزائرية. ولقد كان محمد صالح ناصر من أبرز الشعراء الجزائريين الذين تنوعت عندهم الأماكن العربية والاسلامية إذ ينطلق من الوطن الجغرافي الضيق ليعانق الوطن العربي، الذي يستمد جوهر وجوده من الاسلام والعروبة ويكشف عن هذا الجوهر باستمرار ايمانا منه ان الوطن العربي والاسلامي واحد، لا يمكن تجزئته أو الحديث عن مكان دون آخر.

- **البعد التاريخي:**

من الأبعاد التاريخية التي تتخلل الديوان نجد قصيدة **"تدشين مدرسة الاصلاح"** وهي أول مدرسة فتحها التجار المزابيون لأبناء تقرت سنة 1959 يقول فيها:

لوْلا الوَّلِيدُ، بلْ التعَلُم، لمْ يَبِتْ* خَالِّي الوِسَادِ مُعَذَب الأَحْشاء**[1]

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص- ص: 164-165.

(1) المرجع نفسه، ص: 56.

أفْـرجْتُـم عنـهُ السُـهَاد فـبَـاتَ فِي*** كَنـفِ الحَلِيـلـَة نَاعِماً بِهنـَاء

فَغَدَتْ حَـقِيبـةَ كُـلَ مُرْتحِـل إِلَى*** (تُقرْت) حَامِلٌ صِبيـةَ ونِســـاَء

(تُقرْت)كُنتِ فَرِيسـةً لِلجهـلِ فِـي*** عَصرِ العُـلُومِ فيـا لَـهُ مِـــنْ دَاء

يَا يوَم كَان النَاسُ فيكِ ضَـحيــةً*** للفَقْـر، والأَدْرانِ، والأَوبَـــــاءِ

واليوْمَ سَالَ المَـالُ فِيكِ جَـــداولاً*** أَثْـمَـرَ البِـتْـرولُ فِـي الصَـحْـرَاء

وقَـهَرْتَ جَهْلَكَ بَعْدمَا فَتحْتِ لنَا*** لِلـعـلْـمِ مَـدْرســة بِـدُونِ كِـــرَاءِ

يَـا نَـهْضةَ الإِصْلاحِ نَعْمتِ نهْضةٍ*** للضَـادِ، والاسْـــلامِ، والأَبْـنَـــاء

أَبْقيـتُمْ بِجميلِكُم، وصَـنِـيـعِـكُم***كَنْـزاً ثَـمِيناً عـي فيـهِ ثَنـائــي

قُـلْ لِلـذِي جَعلَ الـخِزانةِ مَأمَنـاً*** لنـُقــودِهِ، الأمْــنَ للكُـــرَمَـاء

جُـدْ في سَبِيلِ العِـلْمِ دُونَ تَحرُجِ*** ما مَـات يَـوماً فاضِلٌ بسَـخـــاء

وَالبَـذْلُ يُـحْـمَـدُ للكَـرِيـم وإِنَّمَا*** سَـاخِـي العُلومَ يَفوزُ بِالخضْراء

اليَـــوْم نَـفْـتَـحُ لِلعُـقُولِ مَـدَارِسَـا*** فلْـنفـتْـح الأَكْيَـــاس للزَرْقَـــاء

اليــوْمَ نَـدفْـنُ فِـي التُـراب جهالةً *** ونُـبَـارِكُ العِـرفَـان فِـي الأَبْنَـاء

اليـومَ نَغرِسُ في الرِّيـاض شُجيْـرَةً *** وغـداً نَـلـوذُ بِـظِلِـها الفَيَّـــاء

يـا ربِّ كـلّلْ بـالرعـايـةِ روْضَـنَـــا *** جَّـنبِـــهُ كـلَ مُـصِيبـةٍ هَـوْجَـاء

يـا ربِّ عَـاهِـدْ بِالسَلامَـةِ غَرْسَنَا*** سُـقْـيـَا بِكُلِ سَحـــابَـةٍ وطفَاء

فالشاعر هنا فخور بما جرى في مدينة تقرت حيث قاموا ببناء هذه المدرسة من أجل أبناء بلدتهم، بعدما كانت البلدة فريسة للجهل وهذا بارز في قوله عندما ذكر القبر الذي كانت دلالته هي الشقاء والعتمة، لأن العلم دلالة على النور والجهل دلالة على الظلام.

لقد وظف محمد صالح ناصر هذه الأماكن الطبيعية "الجداول، الصحراء، المدرسة " إشارة إلى الوضع الذي كانت عليه البلاد من دياجي ظلماء وتحولها إلى مروج خضراء ينتفع بها الأبناء.

لقد جُسد البعد الديني بعدة أمكنة، جعلها الشاعر شاهدا ودليلا على كل ما عايشه من أحداث، فنجد هذا مثلا في أنشودة "حي على الفلاح" (تهنئة الزعيم بعيد الفطر) وأنشدها "لأول مرة بدار الزعيم شيخنا بيُّوض بمناسبة تهنئته بعيد الفطر المبارك، ودرسه التاريخي العظيم الذي انتقد فيه مروق الرئيس التونسي بورقيبة ومحاربته للصوم والدين"فيقول:

حـيّ علَى الفَـلاح، حـيّ علَى الفَـلاح[1]

حيّ على الفَلاح فِي رُبى بِلادِنا المؤمنَة

أَبْطالُها نـارٌ ونـورْ في الديَـاجِي المُظلمة

حـيّ علَى الفَـلاح، حـيّ علَى الفَـلاح

استهل الشاعر انشودته بدعوة الناس الى النجاة والفوز بالآخرة أكد عليه بقوله (حي على الفلاح ، حي على الفلاح) وهذا الفوز في بلادنا الإسلامية(الجزائر)، حيث وصف أبطالها بأنهم نار ونور في الليالي السواداء، في إشارة الى الزعيم الشيخ بيوض.

وفي أبيات أخرى من نفس القصيدة، ينشد قائلا:

(1)محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 138.

عـنْـدمَـا يـشْـدُو الأَذانْ داعيـاً إلى الفَـلاحْ[1]

عِنَدهَا يَحْدُو جِبْرِيل نَاشراً صوتَ الصَّلاحْ

فَـتـخْـشعُ الأَصْـواتُ، وتُـفْـتـح الجَنَّــاتْ

وصيْـحةُ التكْبير، لها في كل قلب مئذنة

حـيّ عـلَى الفَـلاح، حـيّ علَى الفَـلاح

ففي هذه الأبيات يشبه دعوة الآذان إلى الفلاح، بنزول جبريل لنشر الصلاح فتغشى السكينة وتفتح الجنان،فتجعل في كل قلب مئذنة متمثلة في صيحة التكبير، فنجد أن الأمكنة البارزة وغير البارزة (الجنات، مئذنة، المسجد) وظفت بجمالية أبرزت من خلالها كيف يرقى الانسان بدينه الحنيف ودستورنا الإسلامي الشريف.

- **البعد الديني:**

أما بالنسبة للبعد الديني فقد تجلى في الديوان بشكل مميز في القصائد والأناشيد، وهذا لما يحمله من دلالات دينية أولا ورمزية وحضارية ثانيا فنجد الشاعر في أنشودة "لبيك يا إلهي" (في استقبال الحجيج) سنة 1961، فيقول:

يا زائِري الرَسولِ طِبْتَ مقدماً...الله، الله [2]

فِـي الحَـرمِ الشَـرِيـف حُــزت مَغْـنـمـاً

وفِــي الطَـوافِ كـمْ سَـعـيْـت مُـحْـرِمـاً

مِـنْ حَــولِكَ النَـعِيــمُ رَفَّ مُـنَـعِـمـــاً

****

(1) المرجع نفسه، ص: 139.

(2) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 161.

مِــنْ مَــاءِ زَمْــزَم طَهَرْتُــم كُـل الآثَـــامِ

لَبَـيْـتُــمْ دَاعِــي الــرَحْــمَــنْ بْالـمَـقَـامِ

بِالـجَـمَـرَاتِ رَجَمْتَ اِبْـلِـيـسَ اِنْـتِـقَـامِ

فِــي عَــرفَــاتٍ رجَـوْتَـهُ حُسْـن الخِـتَـام

فقد ذكر الشاعر في هذه الأنشودة العديد من الأمكنة المرتبطة بالبعد الديني، خاصا بالذكر منها مناسك الحج، بداية من الحرم الشريف، ثم ذكر الطواف والذي لم يكن مكانا بارزا إلا أننا نعرف أن الطواف حول الكعبة هو دلالة للمكان،وفي بيت آخر يظهر دلالة ماء زمزم على البلد الحرام، ثم التلبية في المقام، وبعد ذلك رمي الجمرات كانتقام من إبليس، ثم ذكر عرفات وفيها حسن الختام، وفي البيت ما قبل الأخير ذكر ما يلقاه الحاج من حسنات في الدنيا وجنات النعيم في الأخرة.

وفي أبيات أخرى قد حوّل الشاعر بعض الأماكن التي هي غير دينية إلى أماكن ذات دلالة دينية مقدسة مثل: المدرسة، المعهد في أنشودة "**المدرسة الجديدة** " فيقول:

حَــيّ الـشَـبيبـــةَ، هـــنِّ الجِـيْـلْ

واهــتـــف لِلْعِــلم، بِـكـل سَبِيـــلْ

فــالعِلْـــــم والـدِيــن خَيــرُ دَلِيــلْ

افرح، وكبر، ابنِ وعمِّر... حَيّ الشَبِيبةَ

****

هَــذِي المَــدارس، تُـبْـنى وتُـرْفَـع

هَـــذِي الـمَعَاهِـدُ، لِلنَـــشء تُـوسَع[1]

يَـا رَبَّنَـا فِـــي مـشْروعِـنـا بَـــارك

افرح، وكبر، ابنِ وعمِّر... حي الشبيبة

****

حَـصّـنْ لِدِينِـــك، اِرفَـعْهُ شَيّـــــد

بَانِيـــــه شَـعب طَمُـــوح مُـجَـــدد

وَقَـــاه رَبُّـنَـــا هَـــوْل الـمَعـــارك

افرح، وكبر، ابنِ وعَمِّرْ... حي الشبيبة [1]

فهذه الأنشودة كانت بـ "مناسبة وضع حجر الأساس لبناء مدرسة الحياة الجديدة وتوسعة معهد الحياة" فأنشأ هذا النشيد.فقد استهل قصيدته بتحية الشباب وتهنئة الجيل هاتفا للعلم بكل طريق، حيث قَرَنَ العلم بالدين كخير دليل، ثم أردف بعدها بضرورة الفرح و التكبير للبناء و التعمير محيِّيًا بذلك الشبيبة.

وبعدها ذكر تشييد المدارس والمعاهد واعتبرها إعلاءَها وتشيدها بناءً للنشء داعيا الله مباركة هذا المشروع. ليختتم أنشودته بتوظيفه هذه الأمكنة (المدراس والمعاهد) بجمالية تبرز دلالة الدين بتحصينها له.

نستخلص مما سبق أن محمد صالح ناصر قد أبرز دلالة الأمكنة جماليا من خلال توظيفها في البعدين التاريخي والديني فاستنطق هذه الأمكنة الصماء في البعد التاريخي فجعل منها شاهد

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص:131.

(1) محمد صالح ناصر، مرجع سابق، ص: 132.

عيان على ما عايشه إبان الحقبة الاستعمارية. وفي البعد الديني وظف مصطلحات تحمل الدلالة المكانية بالرغم من عدم بروزها جلية. وقدَّس بعض الأماكن العمرانية.

إتخذ المكان عند شاعرنا أبعادا شتى منها النفسية والإجتماعية والوطنية والساسية والتاريخية و الدينية، مما دل على الرقي بالمكان من مجرد حيز جغرافي إلى مكان لغوي ينبض بالحركة من خلال جمالية التوظيف وهذا موضح في الجدول الأتي:

طبيعة المكان	المكان	الصفحة الواردة فيها	نسبة ورودها في الديوان
	الطبيعة	ص162،ص141،ص136،ص67،ص38،ص11	٪3,5
	الجنان،(أجنة، جناته، جنات)	ص153،ص127،ص64، ص50، ص16، ص12	٪3,5
	الرياض، (الروض)	ص156،ص129،ص125،ص75،ص57،ص16	٪3,5
	الصحراء	ص116،ص114،ص92،ص58،ص54	٪3
	اللحد (القبر)	ص99، ص93، ص89،ص57، ص50	٪3

	البحر	ص112،ص28،ص21،ص13	٪2,5
	البلدة،(العراء، القفر)	ص91، ص50، ص48	٪2
	الجبال،(سفح مقابل الجبل)	ص96،ص46	٪1,16
	سماء	ص168،ص22	٪1,16
	التل (أغلان)	ص149،ص151	٪1,16
	الوادي (وادي ميزاب)	ص125،ص67	٪1,16
	التراب،(الوطن)	ص116	٪0,6
	هضابا	ص63	٪0,6
	السد،(وادي زقرير)	ص42	٪0,6

	الحفر، ج، حفرة	ص167	٪0,6
	الرُّبا(جمع، ربوة)	ص138	٪0,6
	البئر	ص128	٪0,6
	الدوحة	ص110	٪0,6
	المداشر	ص114	٪0,6
	العرين	ص126	٪0,6
	واحة القرارة،(غرب، شرقية، ضاية، شيحية، اسحن، عدايرية)	ص153	٪0,6
	سهولا	ص46	٪0,6

	البوادي	ص72	٪0,6
	عرفات، منزل الوحي، الحرم الشريف، المقام	ص161	٪0,6
	أفق، آفاق	ص169	٪0,6
المجموع الجزئي			٪34.04
	الجزائر،(الوطن)	ص167،ص166،ص126،ص125،ص116،ص 113،ص101،ص100،ص99،،ص98،ص97، ص95،ص94،ص78،ص43	٪8,7
	القرارة، (قراري)	ص13، ص41، ص42، ص51، ص53، ص61، ص68، ص75، ص86، ص91، ص113، ص136، ص152	٪7,5

الأماكن الجغرافية	البلاد،(الموطن،بلدان،بلادي، بلادو)	ص156،ص155،ص153،ص152،ص151،ص 140،ص18	٪4,06
	فرنسا	ص121،ص120،ص114،ص98،ص95،ص93	٪3,5
	الوطن،(الأرض، أرضنا)	ص167،ص166،ص148،ص114	٪2,5
	البيضاء (الجزائر العاصمة)	ص115،ص110	٪1;16
	الأوراس	ص161،ص145	٪1,16
	المغرب العربي	ص164	٪0,6
	ريان،(بريان)	ص158	٪0,6
	الخليج العربي	ص164	٪0,6

	الجزيرة العربية	ص43	٪0,6
	الأطلس	ص164	٪0,6
	مدينة إيفيان	ص112	٪0,6
	مكة، الصين	ص 148	٪0,6
المجموع الجزئي			٪32.78
	مدارس	ص155،ص143،ص134،ص133،ص131،ص 127،ص77،ص75،ص56،ص47	٪5,8
	الطريق(الطرقات)	ص155،ص110،ص77،ص41ص35،ص29, ص22،ص18،ص13	٪5,2

الأماكن العمرانية	المسجد	ص111،ص98،ص87،ص86،ص47،ص42	٪3,5
	قصرا،(القصور،قصور)	ص141،ص88،ص78،ص46،ص19	٪3
	معاهد	ص132، ص102، ص98، ص88، ص47	٪3
	الديار،دار	ص59، ص92،ص99، ص46، ص42.	٪3
	متجر،(حانوت)	ص151،ص150،ص13	٪2
	دار العشيرة	ص88،ص67	٪1,16
	منزلا	ص35	٪0,6
	الميادين	ص13	٪0,6
	حي(أحياء القرارة)	ص62	٪0,6

	النادي (نادي الحياة)	ص67	٪0,6
	البلدية	ص71	٪0,6
	القلعة(قلعة الإسلام)	ص141	٪0,6
	المطبخ، (الكوزينة)	ص149	٪0,6
	المكتبة	ص107	٪0,6
	حانه	ص98	٪0,6
المجموع الجزئي			٪32.66

من الملفت للإنتباه هو أن المكان تم توظيفه بعدة أوجه من خلال النماذج السابقة حيث تراوح بين ذكر للأسماء تارة، والإستشهاد بها وتعددها تارة أخرى.

وهذه الأمكنة جعلت من محمد صالح ناصر قادرا على رسم أبعاد تجربته الشعرية في لوحة فنية بشكل جمالي واضح ودقيق، ليُخلَدَ في ذاكرة القارئ عبر العصور المختلفة على الرغم من تغير النظرة الجمالية من جيل لآخر.

فقد كان التنقل لدى الشاعر من مكان الى آخر أمرا عاديا من خلال نماذج مختلفة "أماكن طبيعية، أماكن جغرافية و أماكن عمرانية". فقد كان "للأماكن الطبيعية"حصة الأسد من الورود في ديوان وحي الضمير في واحة زقرير بنسبة 34,04٪ وقد حملت لمسة جمالية تمثلت في الحس الفني الجمالي لدى الشاعر في دلالة على التشبث بالجذور، وإبراز الذات، وشاهدا على الواقع الذي عاشه ومن أمثلة ذلك: واحة زقرير، اسحن، ضاية، شيحية،...

أما "الأماكن الجغرافية" نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:"مكة، الجزائر، القرارة، الصين، فرنسا، المغرب العربي..." تجعل القارئ يتنقل بينها من خلال قراءته لديوان وحي الضمير في واد زقرير، وقد وردت في المرتبة الثانية بعد الأماكن الطبيعية بنسبة ورود بلغت:32,78٪.

لقد وظف محمد صالح ناصر "أمكنة عمرانية" مختلفة بنسبة 32,66٪ مثال ذلك "الطريق، النادي، المكتبة...." كمعالم عمرانية تضفي صبغة جمالية على الديوان. فوظف الأمكنة كشواهد على شنائع الاستعمار، إضافة الى إبراز التميز الذي اتسم به شعر الثورة.

الخاتمة

من خلال دراستنا لجماليات المكان عند محمد صالح ناصر ف "ديوان وحي الضمير في واحة زقرير" فقد وصلنا إلى نتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تنوعت الأماكن في الديوان بين المغلق والمفتوح، فخّص بالمكان المغلق (المعاهد، المدارس، المساجد) أما المكان المفتوح فقد كان يضم الطبيعة وما فيها، فقد عاش الشاعر بين أحضان الطبيعة الصحراوية وتفاعل مع الواحة القرارية (الغابة، مجرى الوادي، الصحراء، القرية، الرياض، أما المكان المرتفع فقد أفرد الشاعر "جبال الأوراس " بحيز ميز في أشعاره شأنه شأن أغلب الشعراء، وما يقابله في المكان المنخفض السفح بما فيها القرى والمداشر التي أُرتُكبت في حقّها أبشع الجرائم .
- اتّصفت قصائد الديوان بالواقعية لأنها نابعة من تفاصيل واقعية ومعيشية تعبر عن أماكن وعن شخصيات وعن وقائع تاريخية حقيقة بعيدة عن الخيال.
- وظف الشاعر الأمكنة في ديوانه بأبعاد ودلالات مختلفة، منها الأبعاد التاريخية والدينية والنفسية والاجتماعية والسياسيّة.
- شارك الشاعر من خلال قصائده الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي كتبها إبّان الثورة الجزائرية، حيث أرّخت معظمُ قصائده للحركة الإصلاحية بوادي ميزاب في الخمسينيات وبداية الستينيات لمعظم الأحداث المهمة في تلك الفترة.

الملاحق

نبذة عن حياة الشاعر

أ – نشأته وأسرته :

محمد بن صالح ناصر بربوشة، ولد يوم: 13 رمضان 1357هـ الموافق لـ: 06 نوفمبر 1938م، في مدينة القرارة، بوادي ميزاب، والده صالح ناصر عميد عائلة بربوشة، كان تاجرًا قليلَ الاستقرار بالقرارة ، أمّا أمه فاسمها **لاله حمو** الملقبة بلالاهم لحكمتها وسداد رأيها، كان لشخصية والدته دورا كبير في بناء المستقبل العلمي والأدبي لمحمد ناصر. [1] حظي محمد ناصر بخمسة إخوة ذكور، وكان هو أوسطهم، تزوج محمد ناصر سنة 1959م، لقد تميزت أسرته الكبيرة بالتلاحم والتناصر والتكافل كما يصف ذلك في مذكراته.

انخرط محمد صالح ناصر في الكشّافة سنة 1948م، والتي كان لها الدور الكبير في صقل شخصيته العلمية والمعرفية، حيث كانت توفر له فضاء من الجد والعمل. إلى أن انتقل إلى القاهرة للدراسة مدّة أربع سنوات، ثم انتقاله للتدريس في جامعة الجزائر العاصمة واستقراره هناك. [2]

مساره الدّراسي والمكونات الثّقافية:

تلقّى محمد صالح ناصر تعليمه الابتدائي بين مدرسة الحياة القديمة بالقرارة والمكتب الفرنسي (ليكول) من 1945م إلى 1953م، حيث لم يواصل فيه دراسته على الرغم من تفوّقه في العديد من المواد الفرنسية، واصل دراسته في مدرسة الحياة الابتدائية أين تلقى مبادئ العلوم من اللغة والفقه وعلوم الدين، على أيدي شيوخ وعلماء بارزين في المذهب الإباضي، حيث

(1) ينظر، غنّية دومان: «**الرؤية الإسلامية في كتابات محمد صالح ناصر، الأدبية والنّقدية**»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر،ط1، 2018م، ص: 17.

(2) م.ن، ص: 20.

تخرج منها بعد استظهاره القرآن الكريم سنة 1954م، وفي السنة نفسها التَحَق بمعهد الحياة يوم: 03 فيفري 1954م، أين وجد فيه فضاءً واسعًا للمعرفة والتحصيل العلمي. [1]

شخصيات وقيم تأثر بها، وهم: [2]

- الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، المتوفى بالقاهرة في ديسمبر سنة 1965م.
- الشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى، المتوفى بالقرارة في مارس سنة 1973م.
- الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، المتوفى بالقرارة في جانفي سنة 1981م.
- الشيخ عبد الرحمان بن عمر بكلّي، المتوفى ببريان في جانفي سنة 1986م .

تلقى تعلمه الأول في مدرسة "الحياة" الابتدائية بالقرارة، ثم التحق بمعهد "الحياة" الثانوية بالقرارة، وتحصّل فيه على شهادة الثانوية في جوان سنة 1959م، ثم التحق بجامعة القاهرة قسم اللغة العربية سنة 1962م، وتخرج منها سنة 1966م بشهادة الليسانس في الأدب العربي،[3] عاد إلى الوطن ليستلم وظيفة أستاذ في معهد الحياة بالقرارة وبقي فيه إلى جوان 1971م، وبعد ذلك اشتغل مدرسا في قسم اللغة العربية وثقافتها بكلية الاداب جامعة الجزائر ، وفي جوان 1972م حصل على شهادة الدكتوراه حلقة ثالثة، من قسم اللغة العربية وثقافتها جامعة الجزائر، وتحصّل كذلك على شهادة دكتوراة دولة بملاحظة مشرّف جدّا، مع تهنئة لجنة المناقشة، من نفس الجامعة في 27 أكتوبر 1983م. [4]

ب – المناصب التي تقلدها:

(1) ينظر، غنية دومان، مرجع سابق، ص– ص: 20-21.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص: 24.

(3) ينظر، غنّية دومان، مرجع سابق، ص: 23.

(4) ينظر، المرجع نفسه، ص: 23.

بعد تحصّل الدكتور "محمد صالح ناصر" على درجة دكتوراة دولة تولّى مهام عدّة، ومن بين الوظائف التي تقلّدها في مختلف هذه المراكز، نذكر ما يلي: [1]

- عضو المجلس العلميّ بمعهد اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر.
- مسؤول الكتابة بمكتب رئيس دائرة معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر.
- رئيس المجلس العلمي بمعهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر.
- عضو لجنة تقييم المخطوطات بالمؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع (S.N.E.D)، الجزائر (1975م- 1985م).
- عضو لجنة تقييم المخطوطات بديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (1988م– 1990م).
- مستشار الشؤون التعليمية لمدير معهد العلوم الشرعية بمسقط، سلطنة عمان، في مناهج وبرامج الدراسات العليا (1992م– 1998م).
- عضو اتحاد الكتّاب الجزائريين (الجزائر).
- عضو في لجنة الفكر والثقافة التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني (الجزائر).
- عضو إداري في تحرير مجلة الرّسالة التابعة لوزارة الشؤون الدينية (الجزائر).
- عضو في لجنة تحرير مجلة الثقافة الصادرة عن وزارة الثقافة (الجزائر).
- رئيس المجلس العلمي لجمعية التراث بالقرارة ، ومؤسس الجمعية ورئيسها الشرفي حتى اليوم.
- نائب رئيس جمعية الحياة، القرارة (الجزائر) حتى اليوم.
- عضو هيأة العزابة (المجلس الديني لمسجد القرارة) منذ 1992م حتى اليوم.
- عميد كلية المنار للدراسات الإسلامية، الحميز (الجزائر) من 2004م حتى 2008م. [1]

---

(1) ينظر، ، المرجع نفسه، ص: 26.

ج – الأعمال العلمية :

من بين هذه الأعمال العلمية الجليلة والمتنوعة بتنوع العلوم التي واكب في تحصيل معارفها، نذكر منها ما يلي:

1- في الأدب والنقد:

- المقالة الصحفية الجزائرية (1903م-1939م)، في جزأين
- كتاب الصّحف العربية الجزائرية، سنة 1980م.
- كتاب الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية، عام 1984م
- ما أحوجنا إلى أدب إسلامي، 1413هـ- 1992م، ط1.
- خصائص الأدب الإسلامي، 1993م، ط1.
- حداثة أم ردة ؟، 1414هـ - 1993م، ط1.
- حداثة بلا قناع.
- أغنيات النخيل (ديوان شعر)، 1981م، ط1.
- ألحان و أشجان (ديوان شعر)، 1993م، ط1.
- في رحاب القرآن (ديوان شعر). [2]
- في رحاب الله 1991م.
- الخافق الصادق (ديوان شعر)، 2008م، ط1. [3]

(1) ينظر، غنّية دومان، مرجع سابق، ص: 32.

(2) ينظر، غنّية دومان، مرجع سابق، ص: 23.

(3) ينظر، المرجع نفسه، ص: 23.

2 – أدب الأطفال :

وهي عبارة عن مجموعة قصص هادفة للأطفال، تحمل في مضامينها بعدا تربويّا، ومواضيعها مستوحاة من الثّقافة الإسلامية، وهي:

- عنوان المجموعة الأولى: «القصص المربي للأطفال»، ط1، بسلطنة عمان، 1992م. ط2، نشر شركة ترانسباب، الجزائر، 2002م .
- عنوان المجموعة الثانية: «القصص المربي للفتيان» الصادرة عن مكتبة الرّيام بالجزائر، 2002م. وغار حراء، دمشق، 2005م، ووزارة الشؤون الدينية (سلطنة عمان)، 2007م. [1]

3– السير و الأعلام :

ومن بين آثار الدكتور "محمد ناصر" في ميدان السيّر والأعلام، نذكر ما يلي: [2]

- «أبو اليقظان و جهاد الكلمة»، 1980م.
- «عمر راسم المصلح الثائر»، 1984م.
- «رمضان حمّود: حياته وآثاره»، 1978م.
- «مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة»، 1984م.
- «الإمام عبد الحميد بن باديس» (سلسلة أعلام الفكر)، 1991م.
- «الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي»، 1991م.
- «مشايخي كما عرفتهم»، 2008م.
- «محمد بن الحسن بن دريد»، حياة من أجل الأدب، 1991م.

(1)ينظر، محمد صالح ناصر: «**ذكرياتي ومذكراتي**»، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، ط1، 2014م. ص: 798.

(2)ينظر، المرجع نفسه، ص: 789.

- الشيخ بشير الإبراهيمي أمير البيان لدراسة وتحليل لنثره في البصائر في جوان 2005 م
- الشيخ إبراهيم بيوض مصلحا وزعيما، 2005م
- الشيخ علي دبّوز، والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، 1995م
- «أبو مسلم الرواحي البهلاّني "حسان عمّان"»، 1996م.
- «الخليل بن أحمد الفراهيدي»، 2005م [1]

وفي الأخير يمكن القول بأن هذا الإنتاج الغزير للدكتور "محمد ناصر"-كما يقول تواضعا من عنده- إنما يعود الفضل فيه إلى مشايخه وأساتذته، وكلّ من قدّم له النصح وأنار له الطريق، حين كان يدرج في مدارج العلم، والذي حاول تطبيق نصائحهم الثمينة بكلّ إخلاص، ولقد كان لها الوقع الكبير في نفسه وفكره، والأثر الواضح في تكوين شخصيته.

(1) ينظر، محمد صالح ناصر، «**ذكرياتي ومذكراتي**»، ص: 789.

التعريف بالديوان: (ديوان وحي الضّمير في واحة زقرير)

الدّيوان عبارة عن مجموعة القصائد والأناشيد التي تؤرخ لأحداث وقعت في تاريخ الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب في الخمسينات ثم بداية الستّينات، ومنها قصائد في مجالات مختلفة؛ الثقافية والاجتماعية والسيّاسية، ويحوي هذا الديوان على قصائد كُتبت إبّان الثورة التحريرية. [1]

قسّم ديوان "وحي الضمير في واحة زقرير " لمحمد صالح ناصر إلى قسمين : القسم الأول خصص للقصائد، والقسم الثاني خصص للأناشيد، وجاءت الأناشيد في الأغلب الأعم باللغة العربية الفصحى، ومنها ما هو بالعربية الدارجة وبالميزابية، كما أنّ الديوان يحتوي ملحق صور الديوان المخطوط.

فكان عدد القصائد في القسم الأول ثلاثين قصيدة وثمانية عشر نشيدا في القسم الثاني، وكلها تؤرخ لفترة ما بين (1955– 1962)، موضّحة في الجدول الآتي:

قسم القصائد	قسم الأناشيد
عرس آل أبي بكر.	**الوطن الحبيب.**
عرس آل مردوخ.	**ربَّ مَميتَشْ (بالميزابية).**
النجم الذي هوى	**مرحباً بالعيد.**
طلعة الولد الجديد.	**المدرسة الجديدة...!**
من وحي العزوبة.	**ماءُ الحياة (المدرسة الجديدة).**

(1) ينظر: محمد صالح ناصر: «**غلاف الديوان وحي الضمير في واحة زقرير**».

الغزال النافر.	بين النخيل.
عرش الورع والتقوى.	حيَّ على الفلاح (تهنئة الزعيم بعيد الفطر).
بنت الدلال.	يالله خويا...(بالدارجة) (نشيد نال الجائزة).
رمضان، درة الشهور.	تحية الحجيج.
عرس الإصلاح والكرم.	ميلاد النبيء.
عرس آل خياط	تجارتنا فالتل (بالعربية الدارجة والميزابية).
خواطر عازب	القرارة والعين (بالدارجة).
رثاء" عنيزة "	الجيل الجديد..!(تدشين مدرسة الحياة).
يوم الانتصار...!	عرس الشيخ محمد على دبوز لابنه " عيسى "(الليلة الليلة).
تدشين مدرسة اللإصلاح " بتقرت"	لبيك يا إلهي... (في استقبال الحجيج سنة 1961).
نور الكهرباء.	فرحة التحرير (عيد الاستقلال).
الله أكبر ..! نور الكهرباء بالقرارة	عَلَمني ...!
عرس آل الحاج مسعود	فرحة الشعب بالزعيم ...!
بشراك يا إصلاح (انتخاب البلديات).	
إلى شيخي بسيس قاسم بن الحاج	

سعيد.	
عرس ابني خالتي : " عمر" و"حمو".	
الراحل العظيم، الشيخ عبد الله أبو العُلاَ.	
حصار القرارة	
ملحمة الجزائر	
ما أحلى القيد ..!	
عرس الصديق حشْحُوشْ محمد بن عَمارة	
. تهنئة الزعيم بعيد الفطر.	
جنود السلام..!	
يا "أفلح" العصر	
إيه " ديقول"..! (وقف اطلاق النار)	

قصائد مختارة من الديوان

تدشين مدرسة الإصلاح[1]

قُـــمْ حَـــيِّ كُـــلَّ مُشَـــيِّدٍ بَنَّـــاءِ ... واشْـــكُرْ بَـــدِيعَ الصُّـــنْعِ لِلْصُـــلَحَاءِ

وانْظِـــمْ بَـــدِيعَ الشِـــعْرِ مِنْـــكَ مُحَيِّيًـــا ... هِمَـــمَ الرِجَـــالِ وَرَافِعِـــي العُلَمَـــاءِ

نَـــوِّهْ بِفَضْـــلِ المِصْـــلِحِينَ فَشُـــكْرُهُمْ ... مِـــنْ شُـــكْرِ رَبِّـــكَ مُجْـــزِلِ الإِعْطَـــاءِ

يَـا مُصْـلِحِي "تُقُّـرتَ" دُمْـتُمْ قُـدْوَةً ... لِلْنَاهِضِـــينَ عَلَـــى هُـــدَى العُظَمَـــاءِ

حَيَّـــاكُمُ عِلْـــمٌ وَضَـــعْتُمْ أُسَّـــه ... وَرَفَعْتُمُـــــوهُ لِهَامَـــــةِ الجَـــــوْزَاءِ

أَنْقَـــذْتُمُ بَلَـــدًا طَـــوَاهُ الجَهْـــلُ فِي ... قَـــبْرِ الشَّـــقَاوَةِ مُظْلِـــمِ الأَرْجَـــاءِ

دَاوَيْـــتُمْ مِـــنْ جُرْحِـــهِ مِـــنْ بَعْـــدِمَا ... أَمْسَـــى عَلِـــيلاً فَاشِـــلَ الأَعْضَـــاءِ

كَـــمْ مِـــنْ أَبٍ بَـــاتَ السُّـــهَادُ ضَـــجِيعَهُ ... أَرَقُ العُزُوبَـــةِ طَـــارِدُ الإِغْفَـــاءِ

لَـــوْلاَ الوَلِيـــدُ، بَـــلِ الـــتَعَلُّمُ، لَمْ يَبِـــتْ ... خَـــالِي الوِسَـــادِ مُعَـــذَّبَ الأَحْشَـــاءِ

أَفَـــرَجْتُمْ عَنْـــهُ السُّـــهَادَ فَبَـــاتَ فِي ... كَنَـــفِ الحَلِيلَـــةِ نَاعِمًـــا بِهَنَـــاءِ

فَغَـــدَتْ حَقِيبَـــةُ كُـــلِّ مُرْتَحِـــلٍ إِلَى ... (تُقُّـــرتَ) حامـــل صـــبيةٍ وَنِسَـــاءِ

(تُقُّـــرتُ) كُنْـــتِ فَرِيسَـــةً لِلْجَهْـــلِ فِي ... عَصْـــرِ العُلُـــومِ فَيَـــا لَـــهُ مَـــنْ دَاءِ

يَـا يَـوْمَ كَـانَ النَّـاسُ فِيـكِ ضَـحِيَّةً ... لِلْفَقْـــــــرِ، وَالأَدْرَانِ، وَالأَوْبَـــــــاءِ

وَاليَـوْمَ سَـالَ المَـالُ فِيـكِ جَـدَاولاً ... إِذْ أَثْمَـــــرَ البِتْـــــرُولُ بِالصَّـــــحْرَاءِ

وَقَهَـرْتِ جَهْلَـكَ بَعْـدَمَا فُتِحَـتْ لَنَـا ... لِلْعِلْـــمِ مَدْرَسَـــةٌ بِـــدُونِ كِـــرَاءِ

يَـا نَهْضَـةَ الإِصْـلاَحِ نِعْمَـتْ نَهْضَـةٌ ... لِلْضَّـــــادِ، وَالإِسْـــــلاَمِ، وَالأَبْنَـــــاءِ

أَبْقَيْـــتُمْ بِجَمِـــيلِكُمْ، وصَـــنِيعِكُمْ ... كَنْـــزًا ثَمِينًـــا عَـــيَّ فِيـــهِ ثُنَـــائِي

قُـــلْ لِلَّـــذِي جَعَـــلَ الخِزَانَـــةَ مَأْمَنـــاً ... لِنُقُـــــودِهِ، الأَمْـــــنُ لِلْكُرَمَـــــاءِ

(1)محمد صالح ناصر، «**وحي الضمير في واحة زقرير**»، ص- ص: -55-57.

جُـــدْ فِي سَـــبِيلِ العِلْـــمِ دُونَ تَحَـــرُجٍ ... مَـــا مَـــاتَ يَومًـــا فَاضِـــلٌ بِسَـــخَاءٍ

وَالبـــذْلُ يُحَمَـــدُ لِلْكَـــرِيمِ وَإِنَّمَـــا ... سَـــاخِي العُلُـــومِ يَفُـــوزُ بِالخَضْـــرَاءِ

اليَـــوْمَ نَفْـــتَحُ لِلْعُقُـــولِ مَدَارِسًـــا ... فَلْنَفْـــــتَحِ الأَكْيَـــــاسَ لِلزَّرْقَـــــاءِ

اليَـــوْمَ نَـــدْفِنُ فِي التُـــرَابِ جَهَالَـــةً ... وَنُبَـــــارِكُ العِرْفَـــــانَ فِي الأَبْنَـــــاءِ

اليَـــوْمَ نَغْـــرِسُ فِي الرِيَـــاضِ شُـــجَيْرَةً ... وَغَـــدًا نَلُـــوذُ بِظِلِهَـــا الفَيَّـــاءِ

يَـــا رَبِ كَلِـــلْ بِالرِعَايِـــةِ رَوْضَـــنَا ... جَنِّبْـــهُ كُـــلَّ مُصِـــيبَةٍ هَوْجَـــاءِ

يَـــا رَبِ عَاهِـــدْ بِالسَّـــلاَمَةِ غَرْسَـــنَا ... سُـــقْيًا بِكُـــلِّ سَـــحَابَةٍ وَطْفَـــاءِ

أنشودة بين النخيل... [1]

بَـيْنَ النَّخِيـلْ، فَـوْقَ الخَمِيـلْ، وَ الْـوَرْدُ يَمِيـلْ، مَـعَ النَّسِـيمِ الْعَلِيـلْ

حَيْثُ الطَّبِيعَة، زَاهِيَه بَدِيعَة
فَالْوَرْدُ يَبْسِمْ، يَبْسِمْ، وَ الطَّيْرُ رَنِّمْ، رنِّمْ
وَ الْمَاءُ يُهْدِي الْخَرِيرْ، بَيْنَ النَّخِيلْ

لَحْنُ الجَدَاولْ، رَقْصُ السَّنَابِلْ
مَا بَيْنَ المرْجِ الأخْضَرْ وَالقَمْحِ الزَّاهِي الأَسْمَرْ
وَ البَدْرُ سَاهِي النَّظرْ بينَ النَّخِيلْ

فِي جُنَّـــةِ الصَّـــمْتِ الْبَـــدِيعِ، عَلَـــى الْمَنَـــابِعِ وَ الظِّـــلَالِ
بَـــيْنَ السَّـــنَابِلِ وَ الْكُـــرُومِ، وَ رِقَّـــةِ الْمَـــاءِ الـــزُّلَالِ
يَحْيَـــي أَدِيـــبٌ شَـــارِدٌ، لَا يَشْـــتَهِي غَيْـــرَ الْخَيَـــالِ
روحُ تَفَـــتَّحٌ لِلطَّبِيعَـــةِ، لِلطَّلَاقَـــةِ، لِلْجَمَـــالِ

اللَّيْلُ خَالِي، وَ الْقَلْبُ سَالِي
غَنَّى النَّسِيمُ لَحْنَا، بَيْنَ الْجَرِيدِ رَنَّ
سَبِّحْ بِحَمْدِ الإِلَه مَالُو مَثِيلْ

(1) محمد صالح ناصر، «**وحي الضمير في واحة زقرير**»، ص- ص : 136-137

حصار القرارة [1]

قلْـبِي أَغِثْـنِي مِـنْ دَمِـي الفَـوَّارِ ... دَعْـنِي أُسِـرُّ إليـكَ مِـن أَسْـرَارِي
اطفـئْ بفـيْضِ مـدادكَ النَّـارَ الـتِّي ... حَرَقَـتْ فُـؤَادِي، نَجِّـنِي مـن نَـارِي
إني اختنقـتُ فلـم أجـدْ مُتَنَفَّسًـا ... إلَّا الـيراعَ أبثُّـهُ أَشْـعَارِي
إنَّـا لفـي زمـنٍ يـَموتُ المـرءُ مـن ... ذلٍّ ويَقضِـي مُـحْنَقًا بالعَـارِ
أنوَسَّـدُ الأحجـارَ في الأرضِ العَـرَا ... وعـدوُّنا يَحتـلُّ قلـبَ الـدارِ
أنَمُـوتُ مـن حَـرٍ ومـن قَـرٍ ومِـن ... عَطـشٍ، وراءَ السَّـلْكِ كالأَبْقَـارِ
أيَجِيئُنـا ولْـدانُنَا بطعامِنـا ... فَيُلَاحقـونَ بِوابِـل الأحْجَـارِ
ونَـرى ونسـمعُ صـامتينَ أمـامَ ظلْـمِ ... الظـالمينَ وخِسَّـةِ الكُفَّـارِ

مـاذا تُريـدُ عِصـابةُ الأشـرارِ ... بِقـرارة الأبطـالِ والأحـرارِ
بـالعُزَّلِ الـمُسْتَبْسِلين تسُـوقُهُمْ ... بـالرَّغمِ، تُـوهِنُ بأْسَـهم بحِصَـارِ
بالأَبْرِيَـاءِ غَـدَوْا إلى أَعْمَالـِهِمْ ... إذْ رُوِعُـوا بإغَـارَةِ الفُجـارِ
بالعـاجزينَ تـَجُرُّهُمْ قَهْـرًا وبالـ ... ـمَرْضَى تُقَـرِّبهمْ مـن الإقبَـارِ
بالـمُحْصَناتِ الـمُؤمناتِ يُهَـدِّدُ ... ونَ عفَـافَهُنَّ بنصْـلةِ البتَّـارِ
أنـذالُ، يـا لُؤَمَـاءُ، يـا سُـرَاقُ هـلْ ... أَبَقَيـتمُ لفِرَنْسـةٍ مـنْ عَـارِ؟
فَفِعَـالُكُمْ دلَّـتْ علـى أخْلاقِكُـمْ ... والفعـلُ يوضِـحُ مُسْـتَوَى الأَفْكـارِ
أفعَـالُكُمْ، أفْعَـى لَكُـمْ والخَـائِنُو ... نَ مَصـيرُهم بِالسَّـحْقِ مِثْـل الفَـارِ
الـمَكْرُ والتَعْـذِيبُ يشـهدُ أنَّكُـمْ ... أَشْـرارُ غـزوكُم لأَخْـذِ الثـأرِ
قـالُوا: نُفـتِشُ! إي وربِـكْ إنَّكـمْ ... مِثـلَ الفـراشِ يحـومُ حـول النـارِ
قـالُوا: نُفَـتِّشُ ثَـائِرِين، عَمَيـتُمُ ... أتُفتِشـونَ قَـرارةَ الثُّـوَّارِ !؟

(1)محمد صالح ناصر، «**وحي الضمير في واحة زقرير**»، ص- ص : 91-96

أَحَسبتمْ الثوارَ شاةً في السُّهُو ... لِ يَصيدُها الذِئبُ الخسيسُ الضَّارِي
هُم في الجبالِ مع الجهادِ بموعدٍ ... يتربَّصُونَ على خُطُوطِ النَّارِ
كَرِهوا حَياةَ الذُّلِّ فَانْطَلَقُوا إِلَى ... شُمِّ الجِبَالِ لِسَحْقِ الاسْتكْبَارِ
خُنِقُوا بَنَتَنِ الظَالِمِينَ ففَضَلُوا ... استنشاقَ جَوِ الشُّمِ في الأَسحَارْ
عَشِقُوا المعَالِي فَاْعْتَلَوْا عَالِي الصُـ ... ـورِ يُواجِهونَ أَرَاذِلَ الأشْرَارِ
لَمْ تبْقَ فِي أَرْضِ الجَزائِرِ ذَرَّةٌ ... إلا وَفِيهَا خَفقَة مِن شَارِي
والهِّمَةُ العَلْيَاءُ تُطْلُبُ مِثْلَهَا ... سُكْنَى، ولو كانَتْ عَلى الأقمارِ!

جُبَناءُ ظنَّوا في القُرَى يَجِدُونَ مَكْمَنَ ... فِرقةِ الأحرارِ و الأنصارِ
هَبْ فِي القُرَى كانُوا فهلْ يذَرُونَكُمْ ... أن تُفْلِتُوا من قَبْضَةِ البتَّارِ؟
عُودُوا إِلى أوكَارِكُمْ أَوْ تَنْدِبُوا ... القِطُّ يَفْتِكُ دَائِمًا بالفَارِ
مُوتُوا بِغَيظكمُ فلن يَشْفيكُم ... قَتْلَ الدَجاجِ وشَقَّ بطنِ حِمارِ
أُوبُوا بفقرِكُم فَمَا يُغْنِيكُمْ ... سَرِقَاتُ عِقدِ أَرامِلٍ وسِوَارِ
ذوبُوا بخزيكُم، فمَا أَفْلَحتُمُ ... سَلْبَ العفافِ وليدةَ الأحْرارِ
لبُؤَاتُنا العَزْلاءُ أَخْزَيْتكمْ وأَنْـ ... ـتُمْ بالبنادقِ حاملِي الأشفارِ
لبُؤَاتُنا بالرُّوحِ تَفْدِي العرضِ لا ... كبَناتِكم تُعطِيه بالدِّينارِ
والحرَّةُ الشمَّاءُ تُنْبِتُ مثلَها ... في البأسِ، والإيمانِ، والإصرارِ
ضاعتْ مساعيكُمْ وبَدَّدَ حُلْمَكُمْ ... نارُ الجزائرِ فِي السَّمَّا كَبُخَارِ
لن تُفْلِحُوا أن تُخْمِدُوا بُرْكَانَنَا ... بِترُولَنَا قد زادَ وَقْدَ النَّارِ
بِترُولنَّا إنَّا سنُحْرِقُكُمْ به ... كَمْ باحِثٍ للحَتْفِ بالأظْفَارِ
أَحسنتمْ بعذابكمْ، فعَذابُكُمْ ... قَد فَتَّحَ الأَعْيَانَ للإبْصَارِ
إن تحصُرونَا، هل دريْتُمْ أنَّ، هَذا ... الحصْرَ ضَاعفَ قُوَّة الإعصارِ
قد يَصْدأُ السيفُ المُهَنَّدُ فَتْرَةً ... فتُشِعُّهُ النِيرَانُ بالإصْهارِ

والتِّبْــرُ يَعْــرِفُ صــدقُه وصــفاؤُه ... وهُــو الثَمِيــنُ لـدى الورَى بالنَّــارِ

أفْعَــى اليهــودِ إلى فِرنْســا إرْحلِــي ... أو تُـقتلــي برصاصِنــا فاخْتَــاري
قلْبي يفـورُ علـى الـدَّخيلِ فهـل تُـرى ... يومًــا أســكِّنُ مــن دِمَــاهُ أُوَارِي؟
يومًــا سأُبْصِـرُ بالعـدوِّ أمـامَ رِجْلـي ... يلفــظُ الأنفــاسَ في اسْتِصْــغارِ
إني لأشمــتُ فيــه يُخفِــضُ رأسَــهُ ... مــن بعْــدِ رفْعَتِهَــا علــى اســتكبارِ
فـأرَى جـدارَ الظلـمِ يَهْـوِي مُنْسِـفًا ... مُتَضَعْــــضِعًا بمطــــارق الثُــوَّارِ
إني لأشمــتُ مــن (جَنِــينَ) وجَيْشِــهَا ... بعــدَ الــدَمَارِ تبــوءُ باسْتِحْقَــــارِ
في السَــفْحِ نَحْفِــرُ قَبْرَهــا لا فِي الجِبــا ... لِ فمــوطنُ الديــدانِ في الأقــذارِ
في السَــفْحِ نَحْفِــرُ قَبْرَهــا ونَسِــيرُ ... فــوق مَنَــاخِرِ المتجبِّــرِ الغَــدَّارِ
لــن تَسْــتقَّر دُوَيْلَــةٌ تُبْــنَى علــى ... أُسِّ الــدِمَاءِ ومُهْجَــةِ الأطهَــارِ
مهمــا تطــلْ لــن يســتقرْ بناؤُهَــا ... خَــاوٍ، يقــوم علــى شفــيرٍ هَــارِ
وطـني، ستشـهدُ ظالميـكَ وهـمْ علَـى ... وَقَــدِ الهَزِيمَــةِ ناكسِــينَ بِعــارِ
إني لألمــحُ بَــارقَ النصْــرِ المقــدَّ ... سِ مــن دَمِ الشُهَــداءِ والأبــرارِ
هــيَ جَولَــةٌ تَــأتِي ويُشْــرِقُ بَعــدهَا ... التحــريرُ، يطــرُدُ لَيلَهَــا بنَهَــارِ

الفهارس

✓ المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- ابن بركات عبد الله بن أحمد النسفي: "تفسير النّسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)"، تح: يوسف بدوي، م03، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 01، 1998م.

3- ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.

4- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: "المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير"، دار النشر مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 02، 1987م.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين"، تح: عبد الحميد هنداوي، دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، د ط، د ت.

6- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2008م.

7- مجمع اللغة العربية، "المعجم الوسيط"، ط 04، مكتبة الشروق الدولية، مصر،2004م.

8- محمد صالح ناصر، "من وحي الضمير في واحة زقرير"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، ط 01، سنة الطبعة: 2016م.

✓ المراجع:

1- إبراهيم فتحي، "معجم المصطلحات الأدبية"، المؤسسة العربية للناشرين والمتحدين، تونس، ط 01، 1986م.

2- أوريدة عبود، "المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية"، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، ، دار الأصل، د ط ، د ت.

3- جماعة من الباحثين، «جماليات المكان»، دار البيضاء، ط 02، 1988م.

4- جيهان أبو العمرين، «جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي»، دار الأيام، عمان، ط 01، 2015م.

5- حسن بحراوي، "بنية الشّكل الروائي"، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط 01، 1990م.

د ط، دمشق، 2005م.

6-سعيد توفيق: "الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفية الجمال الظاهراتية"، بيروت، ط 01، 1992م.

7-سعيد علوش، "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة"، عرض وتقديم وترجمة، ط 01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م.

8-عبد الرحمن بن زورة: «شعرية الفضاء في النقد الروائي المغاربي المعاصر» (المفهوم والتحولات)، مركز الكتاب الأكاديمي، دمشق، د ط، 2005م.

9-عبد المالك مرتاض: "في نظرية الرواية"، بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، ديسمبر، 1998م.

10-علي عشري زايد، "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1997م.

11-غاستون باشلار،:"جماليات المكان"، تر: غالب هلسا، ط 02، بيروت لبنان، سنة الطبعة: 1984م.

12- غنّية دومان: "الرؤية الإسلامية في كتابات محمد صالح ناصر، الأدبية والنّقدية"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط 01، 2018م.

13-فتيحة كحلوش، "بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري"، دار الانتشار العربي، بيروت– لبنان، ط 01، 2008م.

14-مجموعة من المؤلفين "معجم مصطلحات الاباضية"، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط 01، سنة الطبعة: 2006م، ج 01.

15-محبوبة محمدي محمد أبادي : "جماليات المكان في قصص سعيد حورانية"، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، د ط، 2011م.

16-محمد صالح ناصر: "ذكرياتي ومذكّراتي"، دار ناصر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الجزائر، ط 01، 2014م.

17-محمد عزام،"شعرية الخطاب السردي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب،

18-مهدي عبيدي "جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا" (حكاية بحار-الدقل-المرفأ البعيد)،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق، د ط، 2011م.

19-هيقل: "مدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال"، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، ط 01 و 02، 1978م.

20-يوري لوتمان وآخرون، "جماليات المكان"، مجموعة من الباحثين، عيون المقالات، باندونغ الدار البيضاء، ط 02، 1988م.

21-يوري لوتمان، تر: سيزا قاسم، "مشكلة المكان"، د ط، د ت.

✓ المجلات والدوريات:

1- عبد القادر بوزياني: "أبعاد الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث"، مجلة الكلم، م04، ع 01، أفريل 2019م.

2- عبود جودي الحلي وميس هيبت حميد: "الاتجاه السياسي في شعر علي الفتال"، مجلة أهل البيت، ع 16، د ت.

3- عمر بن طرية: "البعد الاجتماعي في ديوان همسة شاعر للشاعر بشير قيطون"، مجلة الذاكرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،2006م، ع 07.

4- عمارة الجداري: "المكان والبعد النفسي في الشعر العربي القديم"، مجلة جسور المعرفة، جامعة سوسة، تونس، سبتمبر 2018، م4، 3 (15).

5- غنّية دومان: "الرؤية الإسلامية في كتابات محمد صالح ناصر، الأدبية والنّقدية"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط 01، 2018م.

✓ الرسائل الجامعية:

1- أحمد اسبيتان الشواورة:"مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي"، رسالة الدكتوراة في الأدب والنقد غير منشورة، جامعة مؤتة، 2015.

2- حنان مقلاتني، "أبعاد المكان ودلالاته في رواية البيت الأندلسي لوسيني الأعرج"، دراسة سيميائية، مذكرة ماستر، تخصص تحليل الخطاب، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2017م.

3- خرفي محمد صالح،"جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر"، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005م-2006م.

4- زين العابدين بن هدي:"ترجمة الرموز الدينية". مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، د ط، 2015م،

5- مريم دهيمي: "هندسة الفضاء في رواية الأمير لوسيني الأعرج"، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص أدب جزائري، 2016م-2017م.

✓ المواقع الالكترونية:

6- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%AF%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D8%A1#.

عن موقع ويكيبيديا، تاريخ التصفح يوم: 25 أوت 2020م.

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الملخص	
المقدمة:	**أ – ث**
المبحث الأول: جمالية المكان الماهية والمفهوم.	**29 – 6**
المطلب الأول: جمالية المكان لغة واصطلاحا.	**27 – 6**
المطلب الثاني: اشكالية المصطلح.	**29 – 27**
المطلب الثالث: المكان في النقد العربي الحديث والمعاصر.	**31 – 29**
المبحث الثاني: جمالية المكان من خلال التقاطبات الضدية والأبعاد في الديوان	**102 – 33**
المطلب الأول: ثنائية الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.	**49 – 33**
1- الأماكن المغلقة	**44 –33**
2- الأماكن المفتوحة	**49 –44**
المطلب الثاني: ثنائية الأماكن المرتفعة والمنخفضة.	**66 – 49**
1- الأماكن المرتفعة	**57 –49**
2- الأماكن المنخفضة	**66 –58**
المطلب الثالث:ثنائية البادية والحضر .	**72 – 66**
1- البادية	**68 –66**
2- الحضر	**72 –68**
المطلب الرابع: التوظيف المكاني بين الأبعاد والدلالات.	**94–72**
1- البعد النفسي الاجتماعي	**75 –72**
2- البعد الوطني السياسي	**80 –75**

3- البعد التّاريخي الديني	**94 –80**
الخاتمة .	**97 –96**
الملاحق.	**115 – 99**
ملحق 01: التعريف بالشاعر	**105 –99**
ملحق 02: التعريف بالديوان	**108 –106**
ملحق 01: ملحق القصائد	**115 –109**
الفهارس.	**124–115**
فهرس المصادر والمراجع	**122 –118**
فهرس الموضوعات	**124–123**